الفصل الثالث
الحرب النفسية وسائلها وأهدافها لدى أعداء الإسلام

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: وسائل أعداء الإسلام في حربهم النفسية ضد المسلمين ورد القرآن عليها.

وهذه الوسائل هي:

أولاً: الدعاية ورد القرآن عليها.

ثانيًا: السخرية والاستهزاء ورد القرآن عليها.

ثالثًا: الإغراء ورد القرآن عليها.

رابعًا: التحدي والتعجيز ورد القرآن عليها.

خامسًا: الخداع والتمويه ورد القرآن عليها.

سادسًا: إثارة الرعب ورد القرآن عليها.

سابعًا: النفي والإبعاد ورد القرآن عليها.

ثامنًا: تحطيم المعنويات ورد القرآن عليها.

تاسعًا: الجدل ورد القرآن عليها.

عاشرًا: المقاطعة الاقتصادية ورد القرآن عليها.

الحادي عشر: الإشاعة ورد القرآن عليها.

المبحث الثاني: أهداف الأعداء من الحرب النفسية ويشتمل على:

أولاً: تفتيت وحدة الأمة.

ثانيًا: التشكيك في القيادة.

ثالثًا: التشكيك في المنهج.

رابعًا: إضعاف الروح المعنوية.

خامسًا: تدمير أخلاق المسلمين.

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الأول
وسائل أعداء الإسلام في حربهم النفسية ضد المسلمين ورد القرآن عليها

مقدمة:

هذا هو الفصل الثالث من فصول بحثي الذي هو بعنوان:

الحرب النفسية كما تحدث عنها القرآن

وهذا الفصل خصصته لذكر وسائل الأعداء في حربهم النفسية ضد المسلمين وكيف رد القرآن الكريم عليها.

وقد آثرت أن أفراد منهج القرآن في الرد بالذكر بعد كل وسيلة محاولة مني لإبراز أن القرآن الكريم لم يكن يعالج حالات خاصة وإنما كان يؤصل العلاج في الظواهر ككل ليستفيد من العلاج كل من واجه ويواجه ظواهر مماثلة تأكيدًا على أن القرآن هو المنهج الشامل والكامل لكل مظاهر الحياة في كل زمان ومكان.

كما ذكرت في هذا الفصل أهداف الأعداء التي كانت وراء حربهم النفسية التي خاضوها ضد المسلمين حتى يتضح للمسلمين سوء خبايا أعداءهم وخبث ما طويت عليه نفوسهم من حقد وحنق وكره للمسلمين.

وقبل أن أذكر وسائل الأعداء سأعرف أولاً الوسيلة وهي: الأداة التي تحمل رسالة إلى المتلقى[1].

---

(١) الإعلام في ضوء الإسلام، د/ محمد عمارة (ص٢٠٠).

أولاً: الدعاية:

والدعاية وسيلة من وسائل الحرب النفسية والتي استخدمت كثيرًا من أعداء المسلمين ضد المسلمين بهدف النيل من ثقتهم ودينهم ولكن ما هي الدعاية؟

الدعاية هي: ورد في لسان العرب مادة «دعوة» أن الدعاة قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلال واحدهم داع ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين.

والنبي ﷺ داعي الله، وكذا المؤذن(١).

وورد في المعجم الوسيط في مادة دعو أن الدعاية هي الدعوة إلى مذهب معين أو رأي بالكتابة أو بالخطابة ونحوهما والداعية هو الذي يدعو إلى دين أو فكرة(٢).

وقد عرفت الدعاية السيئة:

هي محاولة التأثير في الأفراد والجماعات والسيطرة على سلوكهم لأغراض مشكوك فيها وذلك في مجتمع معين وزمان معين لهدف معين(٣).

ومن التعاريف السابقة نستخلص في معنى الدعاية التي روجها أعداء الإسلام ضد الإسلام أنها:

محاولة التأثير في الأفراد والجماعات بهدف التشويش على الإسلام والمسلمين وإلصاق التهم والافتراءات الباطلة بالنبي ﷺ والقرآن الكريم والمؤمنين.

والقرآن الكريم ذكر كثيرًا من الآيات التي تحكي دعايات أعداء الإسلام من المشركين واليهود والمنافقين فضحًا لشأنهم وبيان بطلان فكرهم.

ولقد استخدم المشركون الدعاية كوسيلة من وسائل الحرب النفسية ضد الإسلام والمسلمين فقد حاكوا له الكثير والكثير من المكائد لصد الناس عنه وما هي إلا مكائد

---

(١) لسان العرب، لابن منظور (١٨/ ٢٨٤).

(٢) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط (ص٢٨٦)، طبعة دار الدعوة، استانبول، تركيا.

(٣) الأعلام والدعاية، عبد اللطيف حمزة (ص٩١)، ط/ دار الفكر العربي.

openkandil.com

خبيثة ماكرة لا تصمد أمام قوة الحق الذي يصد عنه خالق القوى الله رب العالمين.

ومن الآيات التي تحدثت عن ذلك والتي يخبر الله تعالى فيها عن افتراء الكافرين ودعوتهم المؤمنين إلى دينهم وفي ضمن ذلك تحذير المؤمنين من الاغترار بهم والوقوع في مكرهم(١).

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٢].

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا ﴾ أي ديننا، ﴿ وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ ﴾ جزم ولنحمل على الأمر.

وقال الفراء والزجاج: هو أمر في تأويل الشرط والجزاء أي إن تتبعوا سبيلنا نحمل خطاياكم(٢).

﴿ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ ﴾ فهذا نفي مؤكد عن سبيل الاستمرار لكونهم حاملين شيئًا من خطاياهم التي التزموا حملها(٣).

﴿ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾ أي فيما قالوا من حمل خطاياهم، والقائلون لهذه المقولة هم:

قال مجاهد: هذا من قول كفار مكة لمن آمن منهم.

وقال الكلبي ومقاتل: قاله أبو سفيان لمن آمن من قريش: اتبعوا سبيلنا ديننا وملة آبائنا ونحن الكفلاء بكل تبعة من الله تصيبكم(٤).

وهكذا يرد الله سبحانه وتعالى على هذه الدعوة الباطلة بكذب أهلها وافترائهم لهذه الدعوة ويرد كيدهم في نحورهم ويفوت عليهم هذه الفرصة لاستغلال وسيلة الدعاية

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (٤/ ٥٣) بتصرف، ط/ دار الأوس.

(٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم، للقرطبي (٨/ ٥٠٤٨)، بتصرف، ط/ دار الريان.

(٣) روح المعاني للألوسي الجزء العشرون (١١/ ٢٠٩)، ط/ دار الفكر.

(٤) معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٤٦٢، ٤٦٣) بتصرف، ط/ دار المعرفة.

في الحرب النفسية.

وقد شهدت السيرة النبوية حرب الدعاية ضد الرسول ﷺ ودينه من جبهات مختلفة ولقد وقع اتفاق بين كبراء قريش على استخدام حرب الدعاية ضد محمد ﷺ والحق الذي جاء به لحماية أنفسهم وأوضاعهم بين الجماهير في مكة وبصد القبائل التي كانت تفد إلى مكة في موسم الحج عن الدين الجديد وصاحبه ﷺ.

قال ابن إسحاق: إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش وكان ذا شأن فيهم وقال لهم أنه قد حضر الموسم وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأيًا واحدًا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضًا قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيًا نقل به قال: بل أنتم فقولوا أسمع قالوا: نقول: كاهن، قال: لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه قالوا: فنقول مجنون، قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته، قالوا: فنقول: شاعر، قال: وما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر، قالوا فنقول ساحر، قال: ما هو بساحر لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم، قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة وإن أصله لعذق[1] وإن فرعه لجناة[2] وما أنتم بقائلين من هذا شيئًا إلا عرف إنه باطل وإن أقرب القول فيه أن تقولوا: هو ساحر جاء بقول سحر يفرق به بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجته وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون بين الناس -حين قدموا الموسم- لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا له أمره[3].

---

(١) العذق الكثير الشعب والأطراف، تفسير الظلال (٥/ ٣٠٠٩).

(٢) الجناة: فيه ثمر يجني، المرجع نفسه وانظر السيرة النبوية لابن هشام (١/ ١٩١).

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ١٩١) باختصار وتصرف.

وهذا النص الذي أوردته كتب السيرة يوحي بعدة معان منها:

١- إمعان أعداء الإسلام في بث الدعايات الباطلة ضد الرسول ﷺ.

٢- وحدة رأيهم وكلمتهم في عداء الرسول على اختلافها في غير ذلك.

٣- أن مروجي الدعايات الباطلة لا ينسون حبكها حتى يقبلها عقل من تروج عنده.

٤- أن القوم على الرغم مما كان فيهم من خصال سيئة كانوا على درجة كبيرة من احترام كلمة الكبير فيهم.

ولم يكن اليهود في استخدامهم لهذه الوسيلة بأقل خطرًا من المشركين.

والقرآن الكريم ذكر كثيرًا من الآيات التي تحكي دعايات أعداء الإسلام من أهل الكتاب.

ومن هذه الدعايات الباطلة أن اليهود والنصارى أشاعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه فهم المقربون إليه المحببون لديه وفي ذلك تعريض بغيرهم ولقد حكى القرآن الكريم هذه الدعاية ورد عليها كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨].

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ﴾ حكاية لما صدر من الفريقين من الدعوة الباطلة لأنفسهم وبيان لبطلانها(١).

﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ﴾ أثبتت اليهود لأنفسها ما أثبتته لعزير حيث قالوا: ﴿عُزَيْرُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ وأثبتت النصارى لأنفسها ما أثبتته للمسيح حيث قالوا: ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ﴾ وقيل هو على حذف مضاف أي نحن أتباع أبناء الله، وهكذا أثبتوا لأنفسهم أنهم أحباء الله بمجرد الدعوة الباطلة والأماني العاطلة فأمر الله رسوله ﷺ أن يرد عليهم بما جاء في

(١) روح المعاني للعلامة الألوسي الجزء السادس (٤/ ١٤٨).

الآية الكريمة ﴿ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ ﴾ أي إن كنتم كما تزعمون فما باله يعذبكم بما تقترفون من الذنوب بالقتل وبالمسخ وبالنار في يوم القيامة كما تعترفون بذلك لقولكم ﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ ﴾.

فإن الابن من جنس أبيه لا يصدر منه ما يستحيل على الأب وأنتم تذنبون، والحبيب لا يعذب حبيبه وأنتم تعذبون، فهذا يدل على أنكم كاذبون في هذه الدعوة[١].

﴿ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ ﴾ أي كسائر خلقه يحاسبكم على الطاعة والمعصية ويجازي كلاً بما عمل ﴿ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ ﴾ لمن تاب من اليهود، ﴿ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ ﴾ من مات عليها.

﴿ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ ﴾ فلا شريك له يعارضه ﴿ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ أي يئول أمر العباد إليه في الآخرة[٢].

وهكذا يرد الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم على الدعوة الباطلة حتى لا يقوم لها قيام بعد هذا البرهان الدامغ الذي فندها وردها وأبطلها حتى لا يغتر أحد بعدها بما يروجه هؤلاء من ادعاءات مجد وفضل لأنفسهم.

ومن دعايات أهل الكتاب الباطلة ما حكاه قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾[البقرة: ١١١].

قيل نزلت في وفد نجران وكانوا نصارى، اجتمعوا في مجلس رسول الله ﷺ مع اليهود، فكذب بعضهم بعضًا[٣].

﴿ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا ﴾ أي يهوديًا ﴿ أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ ﴾ وذلك أن

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٢٧).
(٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي (٤/ ٢١١٨) باختصار وتصرف.
(٣) معالم التنزيل للبغوي (١/ ١٠٦)، وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص٣٧).

اليهود قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان هودا ولا دين إلا دين اليهودية، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيًا ولا دين إلا دين النصرانية.

﴿ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ ﴾ إشارة إلى الأماني المذكورة وهي أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم[١]، وأن يردوهم كفارًا[٢]، وأن لا يدخل الجنة غيرهم.

﴿ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ ﴾ على اختصاصكم بدخول الجنة[٣] ﴿ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ أي إن كنتم صادقين في تلك الأماني المجردة والدعاوي الباطلة[٤].

وهكذا يفند القرآن الكريم دعاوي أهل الكتاب عامة من اليهود والنصارى وقولهم: إنهم هم المهتدون وحدهم وأن الجنة وقف عليهم لا يدخلها سواهم، ويقرر في ثنايا عرض هذه الدعوى العريضة حقيقة الأمر، ويقول كلمة الفصل في العمل والجزاء وقولتهم لا تستند إلى دليل، سوى الادعاء العريض، ومن ثم يلقن الله رسوله ﷺ أن يجبهم بالتحدي وأن يطلبهم بالدليل بقوله تعالى: ﴿ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾[٥].

وكذا من دعايات اليهود المضللة قول أحبار بعض اليهود للرسول ﷺ عندما رأى وفد نصارى نجران عند رسول الله ﷺ فقالوا: أتريد منا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم، حتى تأثر بذلك بعض رجال الوفد النصاري فقالوا للرسول ﷺ: أو ذاك تريد منا يا محمد وإليه تدعونا؟ فقال لهم عليه الصلاة والسلام ردًا عليهم:

---

(١) وهي ما ورد في قوله تعالى: ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ ﴾ [البقرة: ١٠٥].

(٢) وهي ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ [البقرة: ١٠٩].

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (١/ ٨٢).

(٤) فتح القدير للشوكاني (١/ ١٩٤).

(٥) في ظلال القرآن لسيد قطب (١/ ١٠٣) باختصار وتصرف.

«**ما بذلك بعثني الله ولا أمرني**»[١].

ومن مواقفهم الدعائية ضد من يتبعون الرسول ﷺ منهم[٢] قولهم: ما آمن بمحمد إلا شرارنا ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره[٣].

محاولين بذلك إلقاء الشك في قلوب الذين آمنوا منهم لعلهم يرتدون عن الإسلام بالإضافة إلى صد من لم يسلم بعد من اليهود الذي يوجد في قلوبهم ميلاً إلى الإسلام، وذلك إذا رأوا أن الذين أسلموا قد أصبحوا في مجتمع يهود مسلطة عليهم الألسنة الحداد من أحبار يهود، وأنهم متهمون بأنهم أشرار[٤].

ومن الدعايات التي حكاها القرآن الكريم عن المنافقين وكيف استخدموها في الحرب النفسية لصد الناس عن الرسول ﷺ وعن الطريق المستقيم ما حكاه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ [الأحزاب: ١٣].

﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ أي لا وجه لإقامتكم مع محمد كما يقال لا إقامة على الذل والهوان أي لا وجه لها.

ويثرب اسم للبقعة التي هي المدينة[٥] والطائفة تطلق على الواحد فما فوقه وعني به هنا أوس بن قيظي ﴿ فَٱرْجِعُواْ ۚ ﴾ أي عن محمد واتفقوا مع الأحزاب تخرجوا من الأحزان، أو فارجعوا إلى منازلكم، أمروهم بالهروب من معسكر النبي ﷺ قال ابن

---

(١) الحرب النفسية في صدر الإسلام مرجع سابق (ص٤١٩)، نقلاً عن السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ١٨٠).

(٢) أي من اليهود.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٩٧).

(٤) عبد الرحمن الميداني، مكايد اليهود (ص٨٦)، ط/ دار القلم، دمشق، ١٣٩٨هـ.

(٥) مفاتيح الغيب للرازي (١٢/ ٥٨٠)، ط/ دار الغد.

عباس قالت: اليهود لعبد الله بن سلول: ما الذي يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبي سفيان وأصحابه فارجعوا إلى المدينة فإنا مع القوم فأنتم آمنون ثم السامعون عزموا على الرجوع واستأذنوه ﷺ وتعللوا بأن ﴿ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾ فيها خلل لا يأمن صاحبها السارق على متاعه والعدو على أتباعه(١).

ثم بين الله سبحانه وتعالى كذبهم بقوله ﴿ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ﴾ وبين قصدهم وما تكن صدورهم وهو الفرار وزوال القرار بسبب الخوف(٢).

يقول أ/ سيد قطب معلقًا على هذه الآية: «والمنافقون والمرجفون قائمون في كل جماعة وموقفهم في الشدة هو موقف إخوانهم هؤلاء فهم نموذج مكرر في الأجيال والجماعات على مر الزمان».

﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ﴾ فهم يحرضون أهل المدينة على ترك الصفوف، والعودة إلى بيوتهم، بحجة أن إقامتهم أمام الخندق مرابطين هكذا لا موضع لها ولا محل وبيوتهم معرضة للخطر من ورائهم ... وهي دعوة خبيثة تأتي النفوس من الثغرة الضعيفة فيها ثغرة الخوف على النساء والذراري والخطر محدق والهول جامع والظنون لا تثبت ولا تستقر(٣).

وهكذا دائمًا ينتهي كيد المنافقين بالفشل فقد فضح الله سبحانه وتعالى ادعاءاتهم وأبطلها وبين أن سببها الخوف والجبن والخور الداخلي وما دعواهم إلا حجة باطلة ما لبثت حتى بدا بطلانها.

وهكذا نرى أن وسيلة الدعاية استخدمت كوسيلة من وسائل الحرب النفسية من قبل أعداء الإسلام ضد الرسول ﷺ وضد دعوته وصحابته عليهم رضوان الله في

---

(١) الجامع لأحكام القرآن العظيم (٨/ ٥٢٢٩، ٥٢٣٠) باختصار.
(٢) مفاتيح الغيب للرازي (١٢/ ٥٨١).
(٣) في ظلال القرآن، أ/ سيد قطب (٥/ ٢٨٣٨) ط/ دار الشروق.

العهدين المكي والمدني ولكن استخدامها في العهد المكي أظهر، فإن الأعداء لم يكتفوا بالمجهودات الفردية الضالة في بث الدعايات الزائفة والتشويش والتدجيل وإنما استخدمت الدعاية في حملات كبيرة ومنظمة نظرًا لتعدد الأعداء وشراستهم وخلو أدمغتهم من نور الحق وامتلائها بظلام الباطل فنفوسهم مليئة بالحقد والحسد والبغضاء حين كانوا يعقدون الاجتماعات لتنظيم حملات الدعاية الباطلة ضد الإسلام ورسول الإسلام ﷺ وصحبه ساعين إلى نفث سمومهم من خلال التشويش والزيف والكذب والتضليل واختلاق الأباطيل فاستخدمت الدعاية كوسيلة من أهم وسائل الحرب النفسية من قبل أعداء الإسلام سواء كانت من قبل الكفار أو أهل الكتاب أو من قبل المنافقين(١).

وما زال أعداء الإسلام يستخدمون هذه الوسيلة ضد الإسلام والمسلمين لتشويه صورة الإسلام والمسلمين وبث الدعاية الباطلة عنهم لدى رعاياهم بل ولدى المسلمين الذين لا يعرفون عن أمر دينهم شيء فيغتروا بهذه الدعايات ومن هذه الدعايات: ما قيل عن رجال الكنيسة الذين دعوا للحروب الصليبية أنهم مهدوا لها بدعايات واسعة كلها في الطعن على الإسلام وتشويه سيرة المسلمين مما دفع رعاياهم إلى الزحف في هذه الحروب وارتكاب أبشع المجازر في حق المسلمين.

فلقد خطب أربان الثاني بابا روما بمناسبة انتهاء مجمع كلير مون في نوفمبر ١٠٩٥ داعيًا فرسان أوروبا إلى حملة صليبية لإنقاذ فلسطين من أيدي المسلمين(٢).

ومن دعايات العصر الحديث أيضًا ما روجه الحاخام عوفاديا عندما جلس بالمعبد اليهودي بالقدس مخاطبًا أتباعه قائلاً: «إن أبناء إسماعيل كلهم أشرار وإن الله يندم لأنه خلق أبناء إسماعيل وإن الله يقول في كل يوم يا ليتني لم أخلقهم وهو يعني العرب الذين

(١) الرسول والحرب النفسية لمنصور عويس (ص١٧)، طبعة مكتبة النجاح، ليبيا، ١٩٧٥م.
(٢) مجلة الوعي الإسلامي، عدد (٣٩٧) (ص٥١)، الكويت بتاريخ ديسمبر ١٩٩٨م.

جاءوا من نسل إسماعيل عليه السلام والسيدة هاجر المصرية، وقد وصف العرب بأنهم أفاعي»[١].

هذا مما لا شك فيه أنه لا سبيل للقضاء على هذه الدعايات إلا بالتمسك بكتاب الله وتصحيح هذه الدعايات الباطلة فلن يصلح آخر هذا الأمر إلا بما صلح به أوله.

وهكذا كان منهج القرآن الكريم في الرد على وسيلة الدعاية التي استخدمها الأعداء أن افتضحت آيات القرآن الكريم دعايات أعداء الإسلام الباطلة وبينت بطلانها وردت عليها وبينت وجه الصواب فيها فأصبحت هذه الدعايات لا أثر لها على نفوس المسلمين.

(١) انظر جريدة صوت الأزهر عدد الجمعة ١١ جمادي الأول ١٤٢١هـ، ١١ أغسطس ٢٠٠٠م، عدد (٤٦) الصفحة الأولى.

obeikandl.com

ثانيًا: السخرية والاستهزاء:

وسيلة أخرى من وسائل الحرب النفسية استخدمت كثيرًا من قبل أعداء الإسلام ضد رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، بل وضد كثير من الأنبياء الذين سبقوا سيدنا محمد ﷺ، كما ذكرت ذلك في الفصل الأول.

وهذه الوسيلة لها أثرها الخطير في النفس البشرية وإن كان هذا الأثر يتفاوت من إنسان لآخر حسب درجته الانفعالية تجاه استثارة السخرية والاستهزاء له.

ولفظ السخرية والاستهزاء ومثاله الهمز واللمز والتهكم.

والسخرية والاستهزاء: يتأتيان من انفعال عدواني بين خصمين الأقوى والمتسلط منهما هو الذي يستهزئ بالآخر، بغرض إضعاف روحه المعنوية وحمله على التراجع عن موقفه في الوقت الذي تقوى فيه الروح المعنوية لممارسيه[(١)].

يقال هزأ به ومنه هزءًا وهزءًا سخر به أو منه[(٢)].

فالمستهزئ يسخر من خصمه ليكسر ثباته على موقفه ويضعف أو يقتل روحه المعنوية حتى يسوقه إلى ما يريد وهنا تأتي ثمار هذا النوع من أنواع الحرب النفسية.

هذا وقد تعرض الرسول ﷺ للسخرية والاستهزاء من أقرب أقربائه وهم بنو هاشم وعمه أبو لهب، عندما كان يدعوهم إلى الإسلام فانطلقوا في الضحك والسخرية والاستهزاء بعباراته ورد عليه أبو لهب ساخرًا: تبًا لك يا محمد ألهذا جمعتنا، وكانت تشاركه زوجته في السخرية والاستهزاء بالرسول ﷺ[(٣)]، فنزلت سورة من القرآن كاملة

---

(١) أسلوب السخرية في القرآن، لعبد الحليم حفني، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٧٨م، (ص٢٠).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مادة هزأ.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير (٣/ ٣٨، ٤٥) وما بعدها، ط/ مكتبة المعارف، بيروت، وانظر: الحرب النفسية من منظور إسلامي، د/ أحمد نوفل (٢/ ٢٢) باختصار وتصرف، وانظر: كنوز القرآن وبيان الفرقان، لعبد العزيز الشناوي (ص٥٣٠)، ط/ مكتبة الإيمان، المنصورة.

ترد رميته إلى نحره ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ۝٣ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ﴾ [المسد: ١-٥].

يقول أ/ سيد قطب في تقديمه لهذه السورة:

ولقد مضى أبو لهب وزوجته أم جميل يثيران حربًا شعواء على النبي ﷺ وعلى الدعوة لا هوادة فيها ولا هدنة وكان بيت أبي لهب قريب من بيت رسول الله ﷺ فكان الأذى أشد وقد روى أن أم جميل كانت تحمل الشوك فتضعه في طريق النبي ﷺ فنزلت هذه السورة ترد على هذه الحرب المعلنة من أبي لهب وامرأته وتولى الله سبحانه عن رسول الله ﷺ أمر المعركة(١).

﴿ تَبَّتۡ﴾ أي أهلكت، أو خسرت فالتباب خسران يؤدي إلى الهلاك ﴿ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ﴾ يدا تثنيه يد وأبو لهب كنيته واسمه عبد العزى ﴿ وَتَبَّ﴾ أي وهلك فهو إخبار بعد إخبار وعبر بالماضي لتحقيق الوقوع(٢).

﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ ﴾ أي لم يغن عنه ماله حين حل به التباب، ﴿ وَمَا كَسَبَ﴾ أي وما أغنى عنه كسبه(٣) وقيل: وما أغنى عنه ولده لأن ولد الإنسان من كسبه(٤) كما جاء في حديث: «**أطيب ما يأكل أحدكم من كسبه وإن ولده من كسبه**»(٥).

---

(١) في ظلال القرآن، أ/ سيد قطب (٦/ ٣٩٩٩، ٤٠٠٠) باختصار وتصرف، ط/ دار الشروق.

(٢) تنوير الأذهان للشيخ إسماعيل حفني البروسوي، اختصار وتحقيق الشيخ محمد علي الصابوني (٤/ ٦٠٩) باختصار، ط/ دار العلم.

(٣) روح المعاني للعلامة الألوسي، الجزء الثلاثون (١٦/ ٤٧٠) باختصار وتصرف، ط/ المكتبة التجارية.

(٤) معالم التنزيل للبغوي (٤/ ٥٤٣) ط/ دار المعرفة.

(٥) رواه الإمام النسائي في كتاب البيوع، باب الحث على الكسب (٧/ ٢١٢)، ط/ مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٨٣هـ.

﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ توعده بنار تلتهب عليه ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ ﴾ أم جميل بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان[١] ﴿ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴾ نصب على الشتم والذم وقيل على الحيالة[٢].

﴿ فِي جِيدِهَا ﴾ في عنقها وجمعه أجياد، ﴿ حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ قيل سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعًا تدخل في فيها وتخرج من دبرها، وقيل: من مسد أي من ليف، وقيل: من شجر نبت في اليمن يقال له مسد[٣].

وهكذا يوحي إلينا سبب نزول هذه السورة الكريمة بضخامة الضغوط والحروب النفسية التي عانى منها الرسول ﷺ وخاصة النوع الذي نتحدث بصدده وهو السخرية والاستهزاء حتى من أقرب الأقربين إليه.

وكيف أن الله سبحانه وتعالى يتولى الدفاع عن هذه الدعوة وعن صاحبها ﷺ مصداقًا لقوله عز وجل: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ [الحجر: ٩٥] هذا ويروي أن أبا لهب مات شر موتة حيث أصيب بمرض العدسة حتى أنهم لم يقدروا على تغسيله فصبوا عليه الماء من بعيد من شدة الرائحة الكريهة التي تفوح منه[٤].

ومن الآيات التي تحدثت عن استخدام أعداء الإسلام لوسيلة الاستهزاء والسخرية كوسيلة من وسائل الحرب النفسية قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴾ [المطففين: ٢٩-٣٢].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ﴾ أي أشركوا وهم: كفار قريش وخاصة صناديدهم أبي جهل

(١) معالم التنزيل للبغوي (٤/ ٥٤٣)، ط/ دار المعرفة.
(٢) روح المعاني للعلامة الألوسي (١٦/ ٤٧٢) باختصار وتصرف، ط/ المكتبة التجارية.
(٣) معالم التنزيل للبغوي (٤/ ٥٤٣، ٥٤٤) باختصار وتصرف.
(٤) هذا الحبيب يا محب، لأبي بكر الجزائري (ص١١٤)، باختصار وتصرف، ط/ مكتبة السواري للتوزيع.

والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأصحابهم من مترفي مكة[١] وعبر بالموصول وهذه الصلة ﴿ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ ﴾ للتنبيه على أن ما أخبر به عنهم هو إجرام[٢] وتقديم الجار والمجرور ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ إما للقصر إشعارًا بغاية شناعة ما فعلوه أي كانوا من الذين آمنوا يضحكون مع ظهور عدم استحقاقهم لذلك، أو لمراعاة الفواصل[٣]، ﴿ يَضۡحَكُونَ ﴾ عبر بالمضارع للدلالة على تكرار ذلك منهم وأنه ديدنهم[٤].

﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴾ أي يتفاعلون من الغمز وهو الإشارة بالجفن والحاجب ويكون الغمز بمعنى العيب، وقيل يعيرونهم بالإسلام ويعيبونهم به، والمعنى أنهم يشيرون إليه بالأعين استهزاء ويعيبونهم، ويقولون: انظروا إلى هؤلاء يتعبون أنفسهم ويحرمونها لذتها ويخاطرون بأنفسهم في طلب ثواب لا يتيقنونه[٥].

﴿ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴾ فإذا عادوا إلى أهلهم عادوا متلذذين باستخفافهم بالمؤمنين وكأنهم يعدون صنيعهم ذلك من أحسن ما اكتسبوه في غيبتهم عن أهلهم، أو إلى أن له وقعًا في قلوبهم ولم يفعلوه مراعاة لأحد وإنما فعلوه لحظ أنفسهم[٦].

﴿ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴾ ومرادهم بالضلال: فساد الرأي، لأن المشركين لا يعرفون الضلال الشرعي، أي هؤلاء سيئوا الرأي إذ اتبعوا الإسلام وانسلخوا عن قومهم وفرطوا في نعيم الحياة طمعًا في نعيم بعد الموت[٧].

---

(١) معالم التنزيل للبغوي (٤/ ٤٦٢).
(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٥/ ٢١٠) الجزء الثلاثون بتصرف.
(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم، لأبي السعود (٥/ ٨٤٩).
(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور الجزء الثلاثون (١٥/ ٢١٠).
(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٧٠٥٨)، وانظر: مفاتيح الغيب للرازي (١٦/ ٢٨٩) باختصار وتصرف.
(٦) روح المعاني للألوسي الجزء الثلاثون (١٦/ ١٣٦).
(٧) التحرير والتنوير لابن عاشور، الجزء الثلاثون (١٥/ ٢١٣).

والمشاهد التي يرسمها القرآن لسخرية الذين أجرموا من الذين آمنوا، وسوء أدبهم معهم وتطاولهم عليهم ووصفهم بأنهم ضالون مشاهد منتزعة من واقع البيئة في مكة، ولكنها متكررة في أجيال وفي مواطن شتى، وكثير من المعاصرين شهدوها كأنما هذه الآيات قد نزلت في وصفها وتصويرها، مما يدل على أن طبيعة الفجار المجرمين واحدة متشابهة في موقفها من الأبرار في جميع البيئات والعصور(١).

ومن الآيات التي تحدثنا عن استخدام اليهود لوسيلة السخرية والاستهزاء بشعائر الإسلام كوسيلة من وسائل الحرب النفسية ما حكاه قول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ٥٨].

يقول البغوي عند تفسيره لهذه الآية: قال الكلبي: كان منادي رسول الله ﷺ إذا نادى إلى الصلاة وقام المسلمون إليها قالت اليهود: قد قاموا لا قاموا وصلوا لا صلوا، على طريق الاستهزاء، وضحكوا فنزلت الآية(٢).

والهزو: السخرية والاستهزاء(٣) ولقد رد القرآن عليهم وبين علة استهزائهم فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ أي أنهم بمنزلة من لا عقل له يمنعه من القبائح(٤).

وقيل إن السفه يؤدي إلى الجهل بمحاسن الحق والهزء به، ولو كان لهم عقل في الجملة لما اجترءوا على تلك العظيمة(٥).

فالآية الكريمة توضح مدى ما وصل إليه اليهود من استخدامهم للسخرية والاستهزاء حتى بشعائر الدين الإسلامي.

واليهود حديثًا لم يكفوا عن استخدام السخرية والاستهزاء ضد الإسلام ورسوله

---

(١) في ظلال القرآن، أ/ سيد قطب (٦/ ٣٨٦٠) باختصار وتصرف.
(٢) معالم التنزيل للبغوي (٢/ ٤٨) ط/ دار المعرفة.
(٣) تنوير الأذهان للبروسوي، تحقيق محمد علي الصابوني (١/ ٤٣٢).
(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤/ ٢٢٣٠).
(٥) روح المعاني للألوسي الجزء السادس (٤/ ٢٥٢) باختصار وتصرف.

وشعائره وأتباعه وهذا ما يؤكده ما يلي:

أولاً: نشرت صحيفة الأسبوع المصرية أن فتاة يهودية تصاحبها مجموعة من جنود الاحتلال الإسرائيلي قامت بوضع ملصق على الحوائط وأبواب المحلات في فلسطين بصور الرسول ﷺ على هيئة خنزير كتب عليها اسم محمد بالعربية والإنجليزية، ويضع الخنزير إحدى رجليه الأماميتين على كتاب مفتوح ويمسك بالرجل الأخرى قلمًا يكتب به كلمة القرآن على الكتاب، وفي نفس الصفحة جاء أن شركة لإنتاج الأحذية في الولايات المتحدة الأمريكية طرحت إنتاجًا جديدًا في الأسواق يحمل رسمًا يطابق للفظ الجلالة «الله» باللغة العربية، مما أحدث أزمة بين الشركة والمسلمين هناك(١).

ثانيًا: وفي قبرص والصين وضع اليهود الملاحدة عليهم اللعنة اسم الجلالة على نعال الأحذية ويطلقون في جلاسكو في بريطانيا على بيوت الدعارة مكة.

وفي محلات مارك سبنسر بلندن كانت تعرض ملابس داخلية مطبوع عليها لا إله إلا الله وعلى موضع السوأة بالذات(٢).

ومن الآيات التي دلت على استخدام المنافقين لوسيلة الاستهزاء والسخرية ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة: ٦٥].

أي لئن سألتهم عما قالوه من الطعن في الدين وسب المؤمنين بعد أن يبلغ إليك ذلك ويطلعك الله عليه ليقولون إنما كنا نخوض ونلعب.

ثم أمر الله نبيه ﷺ بأن يجيبهم بقوله: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ والاستفهام للتقريع والتوبيخ، وأثبت وقوع ذلك منهم ولم يعبأ بإنكارهم، لأنهم كانوا

---

(١) انظر: صحيفة الأسبوع العدد العشرون، بتاريخ ١٠/ ٦/ ١٩٩٧م.

(٢) مجلة الوعي الإسلامي، عدد (٣٦)، شوال ١٩٩٦م، (ص٨٥).

كاذبين في الإنكار بل جعلهم كالمعترفين بوقوع ذلك منهم[١].

فالآية الكريمة فضحت أمر المنافقين وبينت أنهم جمعوا بين رذيلتين: الأولى: الاستهزاء والسخرية بالله وآياته.

والثانية: الكذب والإنكار لفعلتهم الشنيعة من الاستهزاء بدين الله.

وهكذا يتبين لنا كيف تفنن أعداء الإسلام في استخدام وسيلة السخرية والاستهزاء كوسيلة من وسائل الحرب النفسية وكان غرضهم النيل من الروح المعنوية للرسول والمسلمين ولكن هيهات أن يتسنى لهم ذلك وهم يوجهونه لقوم تعلقت قلوبهم بالله وتمسكوا بكتابه وصبروا واحتسبوا ابتغاءً لوجهه فكانت هذه أسباب جعلت كل محاولات أعداء الإسلام تبوء بالفشل الذريع.

يقول الشيخ محمد الغزالي في فقه السيرة:

ظن المشركون أن بطشهم بالمستضعفين ونيلهم منهم سوف يصرف الناس عن الاستجابة لداعي الله وظنوا أن وسائل السخرية والتهكم التي جنحوا إليها ستهدم قوى المسلمين المعنوية فيتوارون خجلاً من دينهم ويعودون كما كانوا إلى دين آبائهم غير أن ظنونهم سقطت جميعًا فإن أحدًا من المسلمين لم يرتد عن الحق الذي شرفه الله به، بل كان المسلمون يتزايدون ولم تفلح طرق الاستهزاء في الصد عن سبيل الله أو تشويه معالمها[٢]، إنها زادت شعور المسلمين بما تزخر به الوثنية من معرات ومخاز تستحق الفضيحة والاستئصال[٣].

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٣٩٦) باختصار.

(٢) أي معالم التشريع الإسلامي.

(٣) فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي (ص١١٤)، ط/ دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، بتصرف.

منهج القرآن في الرد على وسيلة السخرية والاستهزاء:

لقد كانت السخرية والاستهزاء أحد وسائل أعداء الإسلام في الحرب النفسية والذي من شأنها أن تنال من الروح المعنوية وتضعفها وتهزها ولكن استقبال الفئة المؤمنة لهذه الوسيلة كان على العكس من ذلك فقد قابلوها بالصبر والثبات والاحتساب لوجه الله سبحانه وتعالى، وكان القرآن الكريم يقف بجانبهم يقويهم ويثبتهم ويتعهد بالرد عنهم ويتوعد أعداءهم مما كان له أكبر الأثر في رفع معنويات المسلمين وتثبيط آمال أعدائهم في النيل منهم ولقد قاد القرآن الكريم حملة شديدة على أعداء الإسلام في مواجهة هذه الوسيلة تمثلت فيما يلي:

أولاً: أفرد القرآن الكريم سورة من سوره تتوعد المستهزئين.

ثانيًا: ذكر الله سبحانه لنبيه ﷺ أن استهزاء الأقوام من أنبيائهم سنة من سنن الله في خلقه.

ثالثًا: أمر الله سبحانه نبيه بعدم الاكتراث بالمستهزئين.

رابعًا: عامل الله سبحانه المستهزئين بالمثل.

خامسًا: نهى الله سبحانه المؤمنين عن اتخاذ المستهزئين أولياء.

أولاً: أفرد القرآن الكريم سورة من سوره تتوعد المستهزئين:

فلقد أفرد الله عز وجل سورة من سور القرآن تتحدث عن الاستهزاء وتتوعد المستهزئين وتهددهم، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة: ١-٩].

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ الهمزة: الذي يؤذي جليسه بسوء اللفظ واللمزة: الذي يومض بعينيه ويشير برأسه ووصفه ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُۥ﴾ أي ادخره وجعله عتادًا

له ﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴾ في الدنيا يظن أنه لا يموت مع يساره ﴿ كَلَّاۖ ﴾ رد عليه أن لا يخلده ماله ﴿ لَيُنۢبَذَنَّ ﴾ ليطرحن ﴿ فِي ٱلْحُطَمَةِ ﴾ في جهنم ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴾ أي التي يبلغ ألمها ووجعها إلى القلوب ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴾ مطبقة مغلقة، ﴿ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ أطبقت الأبواب عليهم ثم سدت بأوتاد من حديد من نار حتى يرجع عليهم غمها وحرها فلا يفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم ريح[1].

فالسورة الكريمة تبين مدى فظاعة العذاب الذي ينتظر المستهزئين وفي هذا تخويف لهم وتطمين للمؤمنين الذين هم محط استهزاء أعدائهم.

ثانيًا: ذكر الله سبحانه لنبيه أن استهزاء الأقوام من أنبيائهم سنة من سنن الله في خلقه:

فلقد ذكر الله سبحانه لنبيه الكريم أن الاستهزاء قد مورس مع الأنبياء من أقوامهم فانتقم الله من المستهزئين منهم وفي ذلك وعدًا ضمنيًا للانتقام من المستهزئين من النبي ﷺ كما أن فيه تثبيت وتسلية وتطمين لقلب النبي ﷺ.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠].

﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ كما استهزئ بك يا محمد ﴿ فَحَاقَ ﴾ قال الربيع بن أنس: تنزل وقال عطاء: حل، وقال الضحاك: أحاط ﴿ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ أي: جزاء استهزائهم من العذاب والنقمة[2]، أي وسنفعل بمن استهزءوا منك مثل ما فعلنا مع من استهزءوا بالرسل من قبلك فهي سنة الله في أنبيائه وسنن الله لا تتبدل ولا تتغير.

---

(١) معالم التنزيل للبغوي (٤/ ٥٢٣، ٥٢٤) باختصار.

(٢) معالم التنزيل للبغوي (٢/ ٨٦).

ثالثًا: أمر الله سبحانه نبيه بعدم الاكتراث بالمستهزئين:

فلقد نزل القرآن الكريم يأمر النبي ﷺ إلى المضي في دعوته ولا يلتفت لاستهزاء أعدائه ووعده بأن الله سيكفيه إياهم وينتقم منهم ويدير الدائرة عليهم، قال تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٩٤ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤، ٩٥].

يقول العلامة الشوكاني عند تفسيره لهذه الآية:

﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾ اظهر ما تؤمر به، ﴿ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ أي لا تبالي بهم ولا تلتفت إليهم إذا لاموك على إظهار الدعوة.

ثم أكد هذا الأمر وثبت قلب رسوله ﷺ بقوله ﴿ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴾ مع كونهم كانوا من أكابر الكفار وأهل الشوكة فيهم فإذا أكفاه الله أمرهم بقمعهم وتدميرهم كفاه أمر من هو دونهم بالأولى[(١)].

ولقد ذكر الإمام القرطبي أسماء هؤلاء المستهزئين فقال وكانوا خمسة من رؤساء أهل مكة وهم: الوليد بن المغيرة وهو رأسهم، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب بن أسد أبو زمعة، والأسود بن عبد يغوث، والحارث بن الطلاطلة، أهلكهم الله جميعًا يوم بدر وقيل يوم أحد لاستهزائهم بالنبي ﷺ[(٢)].

هذا والآية وإن كانت تسرية وتطمينًا لقلب النبي ﷺ فهي تسرية وتطمين للسائرين على طريق الحق في كل زمان ومكان.

رابعًا: عامل الله سبحانه وتعالى المستهزئين بالمثل:

كذلك كان ضمن حملة القرآن لمواجهة أسلوب الاستهزاء أن عاملهم بالمثل:

ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ۝١٤ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾ [البقرة: ١٤-١٥].

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٣/ ١٤٦) باختصار.

(٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي (٦/ ٣٦٧٨).

﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ بمحمد وأصحابه بما نظهر من الإسلام[١].

وهو تأكيد لما قبله لأن المستهزئ بالشيء مستخف به مصر على خلافه، أو بدل منه لأن من حقر الإسلام فقد عظم الكفر، أو استئناف فكأن الشياطين قالوا لهم لما قالوا ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ إن صح ذلك فما بالكم توافقون المؤمنين وتدعون الإيمان فأجابوا بذلك[٢].

﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ يجازيهم على استهزائهم سمي جزاء الاستهزاء باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة لمقابلة اللفظ باللفظ، أو لكونه مماثلاً له في القدر، أو يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم، أو ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء، أو الغرض منه أن يعاملهم معاملة المستهزئ، أما في الدنيا فبإجراء أحكام المسلمين عليهم، واستدراجهم بالإهمال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان، وأما في الآخرة فبأن يفتح لهم وهم في النار بابًا إلى الجنة فيسارعون نحوه فإذا صاروا إليه سد عليهم الباب.

وإنما استؤنف به ولم يعطف في قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ ليدل على أن الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين إلى أن يعارضوهم، وأن استهزاءهم لا يؤبه به في مقابلة ما يفعل الله بهم ولعله لم يقل: الله مستهزئ بهم ليطابق قولهم، إيماء بأن الاستهزاء يحدث حالاً فحالاً ويتجدد حينًا بعد حين[٣].

وما أبأس من يستهزئ به جبار السموات والأرض وما أشقاه وإن الخيال ليمتد إلى خيال مفزع رعيب وإلى مصير تقشعر من هوله القلوب وهو يقرأ ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ فيدعهم يتخبطون في طريق لا يعرفون غايته ويد الجبار تتلقفهم في نهايته كالفئران الهزيلة تتواثب في الفخ غافلة عن القبض المكين وهذا هو

---

(١) معالم التنزيل للبغوي (١/ ٥١).
(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (١/ ٢٨).
(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٢٩).

الاستهزاء الرعيب لا كاستهزائهم الهزيل الصغير[١].

والقرآن الكريم قطع على الأعداء سخريتهم فشلها وأبطل مفعولها بما صبه عليهم من سخرية، وما رصد لكل سخرية معادية من سخرية جارفة لا تبقى أمامها السخرية المضادة ولا أصحابها، فكان القرآن لهم بالمرصاد يرد كل سهم يطلقونه إلى نحورهم ويرد على كل سخرية لهم بسخرية أشد وأنكى[٢].

خامسًا: نهى الله سبحانه المؤمنين عن اتخاذ المستهزئين أولياء:

كما أن القرآن الكريم ضمن حملته ضد الاستهزاء فنهى أتباعه أن يتخذوا المستهزئين أولياء بل الصحيح مقاطعتهم وعدم مصادقتهم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧].

فالآية نهي صريح للموصوفين بالإيمان أن يوالوا الكفار وأهل الكتاب ممن اتخذوا الدين الإسلامي هزوًا ولعبًا كما أن الآية أمر بتقوى الله وطاعته فذلك شرط الإيمان.

يقول العلامة ابن عاشور مبينًا مكانة الدين لدى الإنسان ولماذا كان النهي عن اتخاذ هؤلاء أولياء فقال: «والدين هو ما عليه المرء من عقائد وأعمال ناشئة عن العقيدة فهو عنوان عقل المتدين ورائد آماله وباعث أعماله فالذي يتخذ دين امرئ هزوًا فقد اتخذ ذلك المتدين هزوا ورمقه بعين الاحتقار إذ عد أعظم شيء عنده سخرية فما دون ذلك أولى، والذي يرمق بهذا الاعتبار ليس جديرًا بالموالاة لأن شرط الموالاة التماثل في التفكير ولأن الاستهزاء والاستخفاف احتقار والمودة تستدعي تعظيم المودود»[٣].

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (١/ ٤٥).

(٢) أسلوب السخرية في القرآن الكريم، د/ عبد الحليم حفني (ص٦٦)، وانظر: الحرب النفسية في صدر الإسلام (ص٤٠٧) باختصار وتصرف.

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور، الجزء السادس (٤/ ٢٤١).

فالسخرية لا تمثل خلقًا أو نهجًا منفصلاً في الإسلام وإنما هي نمط يسير على وتيرة الإسلام في خلقه ومبادئه التي لا تختلف ولا تتباين في أي لون من ألوان السلوك أو التشريع في الإسلام فسخرية القرآن الكريم من حيث السمو الإنساني فيها نجد أنها تضرب المثل الأعلى للسخرية من العدو مهما تكن عداوته، فحين تنظر إلى الصور الواردة في القرآن الكريم في مواطن السخرية نجد أنها تستهدف قوة التصوير والتأثير من الناحية الفنية والأدبية بالإضافة إلى تحطيم الجانب الذي يقف عقبة أمام انتشار الإسلام[1].

وهذا السمو في أسلوب القرآن في السخرية جعل له أكبر الأثر في تحطيم الروح المعنوية لدى أعدائه بينما استخدم أعداء الإسلام لأسلوب السخرية لم يزد المؤمنين إلا ثباتًا وصبرًا واحتسابًا.

(١) السخرية في القرآن، د/ عبد الحليم حنفي (ص١٢٤) باختصار وتصرف.

obeikandl.com

ثالثًا: الإغراء:

الإغراء: وسيلة الإغراء أحد وسائل الحرب النفسية المؤثرة ولكن ما هو الإغراء؟

يقال: غر فلانًا غرًا وغرورًا أقنعه بالباطل، والغرور كل ما غر الإنسان من مال أو جاه أو شهوة أو إنسان أو شيطان فجعله في غفلة وجرأة على ما لم ينبغ التجرؤ عليه ليعرضه للهلكة(١).

وقيل: هو التأثير بأي أسلوب أو أي وسيلة على الخصم بالتأثير على العواطف أو إثارة مشاعر الخوف(٢).

وقيل: هي كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة لما يعرضه الخصم من مبادئ والثبات عليها(٣).

وقيل: إن الترغيب والترهيب والوعد والوعيد والثواب والعقاب وسيلة من وسائل الاستمالة وتغيير الاتجاه(٤).

هذا ولقد تنوعت الجهات التي استخدمت وسيلة الإغراء في القرآن الكريم، فلقد استخدمه الأنبياء عليهم السلام ترغيبًا لأقوامهم في الإيمان وترهيبهم من المعصية واستخدمه أعدائهم ضدهم إما إغراء بالمال أو السلطة أو الجاه أو تهديدًا من الاستمرار في أمر دعوتهم.

والذي يعنينا في هذا المقام ما تعرض له النبي ﷺ وأصحابه من إغراء أعدائهم.

وفيما يلي سنعرض لبعض الآيات التي تحدثت عن ذلك:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ

---

(١) المعجم الوسيط، مادة غرر (ص٦٤٩).

(٢) الدعاية واستخدام الراديو في الحرب النفسية، جيهان رشتى (ص٥٦)، ط/ دار الفكر ١٩٨٥م.

(٣) الحرب النفسية في صدر الإسلام، مرجع سابق (ص٥١٥).

(٤) الحرب النفسية، صلاح نصر (١/ ٤٢٩)، ط/ القاهرة للطباعة والنشر، ١٩٦٧م.

عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الأحزاب: ١].

يروى في سبب نزول هذه الآيات أن أبا سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور السلمي قدموا عليه ﷺ في زمان الموادعة التي كانت بينه ﷺ وبينهم وكان معهم عبد الله بن أُبيّ ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا لرسول الله ﷺ ارفض ذكر آلهتنا وقل إنها تشفع وتنفع وندعك وربك، فشق ذلك على النبي ﷺ والمؤمنين، وهموا بقتلهم فنزلت[١].

وذكر العلامة الألوسي سببًا آخر قال: نزلت في ناس من ثقيف قدموا على رسول الله ﷺ فطلبوا منه عليه الصلاة والسلام أن يمتعهم باللات والعزى سنة، قالوا: لتعلم قريش منزلتنا منك.

وذكر أيضًا: أن أهل مكة منهم الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة دعوا النبي ﷺ أن يرجع عن قوله على أن يعطوه شطر أموالهم.

وخوفه اليهود بالمدينة إن لم يرجع قتلوه فنزلت[٢].

وسبب النزول كما ذكره الألوسي يوحي لنا بأن أعداء الإسلام استخدموا وسيلة الإغراء بالترهيب والرغيب كوسيلة من وسائل الحرب النفسية.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ أي دم على التقوى.

قال الضحاك: اتق الله ولا تنقض العهد الذي بينك وبينه[٣].

﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ أي المجاهرين بالكفر، ﴿ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ المضمرين لذلك فيما يريدون من الباطل[٤] وهم أمثال عبد الله بن أبي وعبد الله بن سعد[٥].

---

(١) أسباب النزول للعلامة الواحدي (ص٢٩٤).

(٢) روح المعاني للألوسي، الجزء الحادي والعشرين (١٢/ ٢١٨)، ط/ دار الفكر.

(٣) معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٥٠٥).

(٤) روح المعاني للعلامة الألوسي، الجزء الحادي والعشرون (١٢/ ٢١٨)، ط/ دار الفكر.

(٥) تفسير فتح القدير للشوكاني (٤/ ٢٥٣).

obeikandi.com

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ مبالغًا في العلم والحكمة، فيعلم الأشياء من المصالح والمفاسد، فلا يأمرك إلا بما فيه مصلحة، ولا ينهاك إلا عما فيه مفسدة، ولا يحكم إلا بما تقتضيه الحكمة البالغة.

فالجملة تعليل للأمر والنهي مؤكد لوجوب الامتثال بها[١].

والآية الكريمة اشتملت على توجيه النبي ﷺ إلى عدم طاعة الكافرين والمنافقين وعدم اتباع توجيههم واقتراحهم ولقد قدَّم هذا التوجيه على الأمر باتباع وحي الله وهذا يوحي بأن ضغط الكافرين والمنافقين في المدينة وما حولها في ذلك الوقت كان عنيفًا فاقتضى ذلك النهي عن اتباع آرائهم وتوجيهاتهم، والخضوع لدفعهم وضغطهم ثم يبقى ذلك النهي قائمًا في كل بيئة وكل زمان، يحذر المؤمنين أن يتبعوا آراء الكافرين والمنافقين إطلاقًا، وفي أمر العقيدة وأمر التشريع وأمر التنظيم الاجتماعي بصفة خاصة، ليبقى منهجهم خالصًا لله غير مشوب بتوجيه مَنْ سواه[٢].

هذا وقد ذكرت كتب السيرة الكثير من المواقف التي تجسد ما تعرض له الرسول ﷺ وصحابته الكرام من محاولات الإغراء سواء بالترغيب أو الترهيب وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مبالغة أعداء الإسلام في استخدام وسيلة الإغراء كوسيلة من وسائل الحرب النفسية ضد الرسول ﷺ والمسلمين.

ومن أمثلة ما تعرض له الرسول ﷺ من إغراء بالترهيب والترغيب من قَبِل المشركين ما حدث.

إن سادة قريش ذهبوا إلى عمه أبا طالب فاستعملوا معه وسيلة الإغراء بالترغيب فقالوا له: «يا أبا طالب إن لك سِنًا وشرفًا ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه، وإنا والله لا نصبر على هذا، من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى

---

(١) روح المعاني للألوسي (١٢/ ٢١٨) ط/ دار الفكر.
(٢) في ظلال القرآن، أ/ سيد قطب (٥/ ٢٨٢٢) بتصرف.

تكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين».

عظم على أبي طالب هذا الوعيد والتهديد الشديد، فذهب إلى رسول الله ﷺ وقال له: يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني، فقالوا لي كذا وكذا، فأبق عليّ وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق، فظن الرسول ﷺ أن عمه قد خذله وأنه ضعف عن نصرته، فقال: «**والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر -حتى يظهره الله أو أهلك فيه- ما تركته**» ثم استعبر وبكى، وقام، فلما ولى ناداه أبو طالب فلما أقبل قال له: اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبدًا[(١)].

ومن مواقف السيرة التي تجسد استخدام المشركين لوسيلة الإغراء بالترغيب: ما دار بين المشركين وعم النبي ﷺ أبا طالب عندما عرضوا عليه عمارة بن الوليد بن المغيرة وقالوا له: يا أبا طالب إن هذا الفتى أنهد فتى في قريش وأجمله، فخذه فلك عقله ونصره، واتخذه ولدًا فهو لك وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي خالف دينك ودين آبائك، وفرق جماعة قومك وسفّه أحلامهم، فإنما هو رجل برجل، فقال: والله لبئس ما تساومونني، أتعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه، هذا والله ما لا يكون أبدًا[(٢)].

وقد استعمل المشركون وسيلة الإغراء بالترغيب مع شخص النبي ﷺ فتحكي كتب السيرة أنه بعد إسلام البطلين الجليلين حمزة بن عبد المطلب، وسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنهما بعثت قريش برؤسائهم إلى النبي ﷺ ليعرضوا عليه بعض المغريات لعله يرجع عن هذا الدين.

فلقد كان من ضمن ما قالوه للنبي ﷺ فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب مالاً جمعنا لك المال حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تطلب به الشرف فينا، فنحن نسودك علينا، وإن كنت تريد به مُلكًا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا

---

(١) الرحيق المختوم (ص١١٤)، السيرة النبوية لابن هشام (١/ ١٨٨، ١٨٩).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ١٨٩) باختصار وتصرف.

تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه.

فماذا كان رد النبي ﷺ على هذه المغريات: قال لهم رسول الله ﷺ: «**ما بي ما تقولون، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل علي كتابًا وأمرني أن أكون لكم بشيرًا ونذيرًا، فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به، فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم**»(١).

ولما يئس المؤتمرون لما رأوه من صمود النبي ﷺ على المبدأ، ورفضه جميع ما عرضوه عليه من المغريات لأنها لا تنسجم مع مخططه المرسوم لإقامة الدولة الإسلامية قرروا الرجوع إلى شن الحرب النفسية، لعلهم يتوصلون بذلك إلى تحطيمه نفسيًا(٢).

وهذه الأمثلة تؤكد أن:

١- تفنن أعداء الإسلام في استخدام الإغراء بالترهيب والترغيب ضد الرسول ﷺ .

٢- أن من يعتنق الحق ويقتنع به لا يغريه وعد ولا يثنيه وعيد فالنتيجة في كلتا الحالتين واحدة.

٣- أن الله يجند لهذا الدين من يناصره حتى من الكفرة فأبو طالب فعل في نصرة الدين الإسلامي ما لم يفعله كثير من المسلمين الآن.

هذا وإن كانت هذه الآية مثلت مرحلة استخدام الكفار والمنافقين لحرب الإغراء.

فقد كان استخدام اليهود له أشد ضراوة؛ ذلك لما يحملونه في طيات صدورهم من حنق وكره للإسلام ورسوله وأتباعه.

ومن ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أحبار اليهود قالوا: اذهبوا بنا

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٠٧) باختصار وتصرف.

(٢) قراءة سياسية للسيرة النبوية، أ. د/ محمد رواس قلعه جي (ص٥٢).

إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه، فقالوا: يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود، وأنا إن اتبعناك اتبعَنَا اليهودُ كلهم وأن بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم إليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك، فأبى ذلك رسول الله ﷺ(١).

فأمر الدين لا يقبل المساومة، والثبات على الحق واجب مهما كانت المغريات فنزل قول الله عز وجل: ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٩].

﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ من الكتاب والسنة أي احكم بذلك إن حكمت واخترت الحكم(٢).

وقيل أي وأنزلنا إليك أن احكم بينهم بما أنزل الله أي بحكم الله الذي أنزله في كتابه.

وهذه الآية تدل على أنه إذا حكم بينهم حكم بينهم بالقسط المذكور في قوله تعالى: ﴿ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۖ ﴾ الذي مادته ما شرعه الله من الأحكام المشتملة على غاية العدل وما خالف ذلك فهو جور وظلم(٣).

﴿ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ ﴾ أصل الفتنة، الاختبار ولكن معناه هنا يصدوك ويردوك، وقيل المراد بالفتنة، الميل عن الحق والوقوع في الباطل(٤).

وقيل في معنى: ﴿ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ ﴾ أي واحذر أعداءك اليهود أن يدلسوا عليك الحق فيما ينهونه إليك من الأمور فلا تغتر بهم فإنهم كذبة كفرة خونة(٥).

---

(١) أسباب النزول للواحدي (ص١٦٢)، وانظر في السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ١٠٣).
(٢) الجامع لأحكم القرآن الكريم للقرطبي (٤/ ٢٢١٠).
(٣) تيسير الكريم الرحمن، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١/ ٥٥٠).
(٤) تنوير الأذهان للبروسوي (١/ ٤٢٩)، وانظر: مفاتيح الغيب للرازي (٦/ ٤٥).
(٥) تفسير ابن كثير (٢/ ٦٧)، ط/ دار الفكر.

وإياك والاغترار بهم وأن يفتنوك فيصدوك عن بعض ما أنزل الله إليك[١]، ولو كان بأقل القليل وهو تصوير الباطل حق[٢] فهي فتنة يجب أن تحذر[٣].

وهكذا يتبين لنا كيف استخدم اليهود وسيلة الإغراء كوسيلة من وسائل الحرب النفسية لقد عرضوا كما وضحت الآية عرضًا مغريًا جدًا على رسول الله ﷺ يؤمنون به ومن ورائهم معظم اليهود إنه عرض مغر ماكر خبيث، ولكن موقف الرسول ﷺ في الرد عليهم واضح، فرفض وأبى ألا يحكم بينهم إلا بالحق إذا تحاكموا إليه[٤].

ومن مواقف السيرة التي تجسد استخدام اليهود لوسيلة الإغراء مع النبي ﷺ أنهم حاولوا استمالة الرسول ﷺ واستدراجه إلى اليهودية واقتصار دعوته على المشركين، وأن يعتبرهم على الحق فلا يدعوهم إلى الإسلام ويتركهم وشأنهم يحرفون دين الله وينشرون الفساد[٥].

وذلك أنه أتى رسول الله ﷺ رهط من اليهود فقالوا: يا محمد ألست تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه؟ وتؤمن بما عندنا من التوراة، وتشهد أنها من عند الله؟ قال: «**بلى، ولكنكم أخذتم وجحدتم ما فيها وكتمتم منها ما أُمرتم أن تبينوه للناس فبرأت من أحداثكم**»[٦].

ومن مواقف النصارى التي تجسد لنا استخدامهم لهذه الوسيلة وهي وسيلة الإغراء ما حدث في معركة مؤتة بين المسلمين والروم، حيث أخذ الناس بعد المعركة يفكرون في

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١/ ٥٥١)، ط/ دار الأوس.

(٢) روح المعاني للألوسي (٤/ ٢٢٧).

(٣) في ظلال القرآن، أ/ سيد قطب (٢/ ٩٠٤) ط/ دار الشروق.

(٤) الحرب النفسية في العصر المدني (ص٥٢٣)، مرجع سابق.

(٥) المعوقات للدعوة الإسلامية، سميرة جمجوم (ص٢٢١)، دار المجتمع، جدة، ١٤٠٧هـ.

(٦) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ١٠٤) باختصار وتصرف.

أمر هذا الدين الذي انتصر على قوة الروم العظيمة، وقد آمن لذلك ناس كثيرون مما أزعج القيادات الرومانية، فكان الترغيب والترهيب وسيلة الروم في مواجهتهم هذا الاتجاه، وقد أسلم فروة بن عمرو الجذامي مع من أسلم وكان قائدًا لإحدى الفرق الرومانية، فضاق الرومان بإسلامه واتهموه بالخيانة، وعرض عليه هرقل إغراءات واستمالات كثيرة في سبيل عودته إلى المسيحية كما وعده بالعفو عنه، ولكنه رفض كافة الإغراءات وأبي أن يرتد عن الإسلام[1].

ويؤخذ من هذا الموقف دروسًا عديدة منها:

١- قوة الدين الإسلامي وما جعل الله فيه من تأثيرات تصل إلى القلوب الحية.

٢- أن أعداء الإسلام دائمًا يقفون لمعتنقيه بالمرصاد.

٣- على من يعرف الحق ويعتنقه أن يتمسك به مهما كانت الإغراءات والتضحيات.

هذا وقد أشار القرآن إلى أثر مثل هذه الإغراءات على نفس رسول الله ﷺ وبين فضل الله عز وجل عليه حيث عصمه وثبته.

قال تعالى: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٧٣-٧٥].

فهذه الآيات تفيد أن الرسول ﷺ قد هم بملاينتهم والميل إليهم وهذا الهم كما يقول ابن عطية إنما كان خطرة مما لا يمكن دفعه ولذا قال: ﴿ كِدتَّ ﴾ وهي تعطي أنه لم يقع ركون ثم قال ﴿ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾.

وإذا كانت المقاربة التي تضمنها ﴿ كِدتَّ ﴾ قليلة خطرة لم تتأكد في النفس[2] فإنما كان

---

(١) العبقرية العسكرية في غزوات الرسول، محمد فرج (ص٦٣٦) باختصار وتصرف.

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٧٥).

ذلك خاطر قلب ولم يكن عزمًا وقد عفا الله عز وجل عن حديث النفس[١].

﴿ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلاً ﴾ أي صديقًا ووليًا وكنت لهم وليًا خرجت من ولايتي[٢].

وقيل: لو فعلت ما أرادوا لاتخذوك خليلاً وأظهروا للناس أنك موافق لهم على كفرهم وراض بشركهم[٣].

﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلاً ﴾ من الركون الذي هو أدنى ميل لقرابة أن تميل إلى اتباع مرادهم شيئًا يسيرًا لقوة خداعهم وشدة احتيالهم لكن أدركتك العصمة فمنعتك من أن تقرب إلى أدنى مراتب الركون إليهم مع قوة الداعي إليها[٤].

هذا: ووسيلة الإغراء لم يقتصر استخدامه تجاه الأنبياء فحسب وإنما مورست ضد صحابة النبي ﷺ بل وضد الدعاة المخلصين في كل عصر ومصر.

ومن أمثال ذلك ما تعرض له سيدنا كعب رضي الله عنه في الموقف الذي يحكيه عن نفسه فيقول: «فبينما أنا أمشي بسوق المدينة وإذا نبط من نبط الشام ممن قدم بالطعام يبيعه في المدينة، يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له إليّ حتى إذا جاءني، دفع إليّ كتابًا من ملك غسان وكتب كتابًا في سرقة من حرير فإذا فيه: أما بعد، فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك، فقلت لما قرأتها وهذا من البلاء أيضًا، قد بلغت ما وقعت فيه أن طمع في رجل من أهل الشرك فعدت بها إلى التنور فسجرته بها»[٥].

ومن أمثلة ذلك أيضًا: أن ملك الروم عرض على سيدنا عبد الله بن حذافة السهمي

---

(١) معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٢٧).
(٢) تنوير الأذهان للبروسوي (٢/ ٣٥٧).
(٣) مفاتيح الغيب للرازي (١٠/ ١٥١).
(٤) تنوير الأذهان (٢/ ٣٥٧).
(٥) السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٩٥) باختصار وتصرف.

ﷺ حين أسره مع بعض المسلمين أن ينخلع عن الإسلام ويعتنق النصرانية ويكون شريكًا له في ملكه حيث قال: أنا ملك الروم أعرض عليك أن تتنصر وأطلق سراحك.

عبد الله: هيهات أن الموت لأحب إليَّ ألف مرة مما تدعوني إليه.

ملك الروم: إني لأراك شهمًا فإن أجبتني إلى ما أعرضه عليك أشركتك في أمري وقاسمتك سلطاني.

عبد الله: والله لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ما ملكته العرب على أن أرجع عن دين محمد طرفة عين ما فعلت، قال ملك الروم إذن أقتلك، قال: أنت وما تريد.

فلما رآه ملك الروم متمسكًا بالإسلام قال له: قَبِّل رأسي وأطلق سراحك وسراح من معك، ففعل، وأطلق سراحه وسراح من معه[1].

وهكذا يحاول دائمًا أعداء الإسلام استخدام وسيلة الإغراء في حربهم النفسية محاولين تثبيط همم المسلمين وبث روح الانهزام فيهم ولكن هيهات أن ينالوا ممن تمكن الإيمان من قلبه.

(١) صور من حياة الصحابة، د/ عبد الرحمن رأفت الباشا (ص٣٠، ٣١)، ط/ دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، باختصار وتصرف.

openkandl.com

رد القرآن الكريم على وسيلة الإغراء:

وإذا كان أعداء الإسلام استخدموا وسيلة الإغراء كوسيلة من وسائل الحرب النفسية ضد المسلمين فقد كشفهم الله سبحانه ورد عليهم وفي ذلك وقاية لنفوس الفئة المؤمنين من أن تؤثر فيها هذه الوسيلة الخطيرة.

ويمكن تلخيص منهج القرآن في الرد على هذا الأسلوب في العناصر الآتية:

أولاً: بيان أن الدين الإسلامي لا يقبل المساومة.

ثانيًا: فضح محاولات أعداء الإسلام لإغراء المؤمنين وبيان كذبهم.

ثالثًا: أن القرآن استخدم وسيلة الإغراء مع اختلاف الغرض.

أولاً: بيان أن الدين الإسلامي لا يقبل المساومة:

فلعل من أكثر ما يوضح أن الدين الإسلامي لا يساوم عليه وأن أعداء الإسلام لم يفلحوا في إغراء النبي ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون: ١-٦].

قيل في سبب نزول هذه السورة الكريمة: أنها نزلت في رهط من قريش حاولوا إغراء النبي ﷺ بأن قالوا له: يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك، تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة، فإن كان الذي جئت خيرًا مما بأيدينا «كنا» قد شاركناك فيه وأخذنا بحظنا منه، وإن كان الذي بأيدينا خيرًا مما في يدك «كنت» قد شاركتنا فيه وأخذت بحظك فقال: «**معاذ الله أن أشرك به غيره**»، فأنزل الله: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ إلى نهاية السورة.

فغدا رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقرأها عليهم حتى فرغ من السورة فأيسوا منه عند ذلك[1].

فالسورة الكريمة تقطع الطريق أمام هؤلاء الأعداء وتفصل فصلاً حاسمًا بين عبادة

(١) أسباب النزول للإمام الواحدي (ص٤٠٥).

وعبادة، ومنهج ومنهج، وتصور وتصور، وطريق وطريق، ولذا جاءت السورة الكريمة بهذا الجزم وبهذا التأكيد وبهذا التكرار لتنهي كل قول وتقطع كل مساومة وتفرق نهائيًا بين التوحيد والشرك وتقيم المعالم واضحة لا تقبل المساومة في قليل أو كثير(١).

ثانيًا: فضح محاولات أعداء الإسلام لإغراء المؤمنين وبيان كذبهم:

من الآيات التي فضحت محاولات الإغراء من أعداء الإسلام وبينت كذبها قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٢ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٢-١٣].

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا ﴾ أي اسلكوا طريقنا وادخلوا في ديننا.

﴿ وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ ﴾ أي إن كان اتباع سبيلنا خطيئة تؤاخذون بها عند البعث والنشور كما تقولون فلنحمل ذلك عنكم فنؤاخذ به دونكم.

﴿ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ ﴾ أي وما هم بحاملين شيئًا من خطيئاتهم التي التزموا بها، وضمنوا لهم حملها ثم وصفهم الله بالكذب في هذا التحمل.

﴿ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾ فيما ضمنوا به من حمل خطاياهم وهذا تكذيب لهم من الله عز وجل.

﴿ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ ﴾ أي أوزارهم التي يحملوها والتعبير عنها بالأثقال للإيذان بأنها ذنوب عظيمة.

﴿ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ ﴾ أي أوزارًا مع أوزارهم، وهي أوزار من احتملوهم وأخرجوهم عن الهدى إلى الضلال مثله قوله ﷺ: «**من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر**

---

(١) في ظلال القرآن (٦/ ٣٩٩١) باختصار وتصرف يسير.

من عمل بها»[١].

﴿ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ تقريعًا وتوبيخًا عما كانوا يفترون أي يختلقونه من الأكاذيب التي كانوا يأتون بها في الدنيا.

وقال مقاتل: يعني قولهم: نحن الكفلاء بكل تبعة تصيبكم من الله[٢].

وهكذا فقد بينت الآية الكريمة محاولة أعداء الإسلام لإغراء المؤمنين كما بينت كذبهم فيما قالوه وهي بذلك تقطع أمامهم الأمل وتسد أمامهم الطريق في أن يؤثر أسلوبهم هذا في نفوس المؤمنين.

ثالثًا: أن القرآن استخدم وسيلة الإغراء مع اختلاف الغرض:

والقرآن الكريم استخدم وسيلة الإغراء مع اختلاف الغرض الذي استخدمها من أجله عن غرض أعداء الإسلام في استخدامها فقد أغرى بعضهم بالمال وبعضهم بالجاه بغرض صرفهم عن الباطل وترغيبهم في اعتناق الحق فقد جعل الله من الأصناف المستحقة للصدقات المؤلفة قلوبهم وهم الكفار الذين كان النبي ﷺ يتألفهم ليسلموا، وقيل هم قوم أسلموا ولم يحسن إسلامهم وقيل أنهم قوم من عظماء المشركين لهم أتباع أعطاهم النبي ﷺ ليتألف أتباعهم على الإسلام[٣].

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٠].

وقد اختلف العلماء هل سهم المؤلفة قلوبهم باق بعد ظهور الإسلام أم لا، فقال

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلال برقم (٢٦٧٤) (٤/ ٢٠٦٠)، ط/ عيسى البابي الحلبي.

(٢) فتح القدير للشوكاني (٤/ ١٨٨) باختصار وتصرف.

(٣) المصدر السابق (٢/ ٣٩٢، ٣٩٣).

بعضهم: انقطع هذا الصنف بعزة الإسلام وظهوره، وقال آخرون: سهمهم باق لأن الإمام ربما احتاج أن يتألف على الإسلام وهو الصحيح[١].

وقد استخدم النبي ﷺ هذه الوسيلة مع أعدائه فقد أغرى الرسول ﷺ عيينة بن حصن بن حذيفة والحارث بن عوف وهما قائدا غطفان بثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عن أصحابه في غزوة الأحزاب فوافقا على ذلك[٢].

وقد استخدم النبي وسيلة الإغراء مع أبي سفيان يوم فتح مكة حين قال له عمه العباس يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئًا فقال ﷺ: «**من دخل دار أبا سفيان فهو آمن**»[٣].

ولقد أعطاه النبي يوم حنين عطاء جزيلاً حتى قيل أنه أعطاه أربعين أوقية ومائة من الإبل، فقال ابني يزيد؟ فأعطاه مثلها، فقال ابني معاوية؟ فأعطاه مثلها، وأعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل، ثم سأله مائة أخرى، فأعطاه إياها، وأعطى صفوان بن أمية مائة من الإبل ثم مائة ثم مائة، وأعطى الحارث بن كلدة مائة من الإبل، وكذا أعطى رجالاً من رؤساء قريش وغيرها مائة مائة وأعطى الآخرين خمسين خمسين، وأربعين أربعين، حتى شاع في الناس أن محمدًا يعطي عطاء من لا يخاف الفقر[٤].

وهكذا يتبين لنا أن الله سبحانه وتعالى قد أرشد المسلمين إلى استخدام الإغراء لكسب أعدائهم ولكسب ضعاف النفوس فيهم.

ولقد طبق الرسول ﷺ الآية الكريمة كما وضحت كتب السيرة فأغرى المؤلفة قلوبهم بالمال الوفير وأغرى بعضهم بالجاه والمنزلة إن كانت تؤثر فيه.

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي (٨/ ٦٨، ٦٩) باختصار وتصرف.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١١١) باختصار وتصرف.
(٣) البداية والنهاية (٤/ ٢٨٩) باختصار وتصرف.
(٤) الرحيق المختوم (ص٤٩٨) باختصار وتصرف.

والقرآن الكريم والرسول ﷺ عند استخدامهم لوسيلة الإغراء كان غرضهم تشجيع الناس وتحفيزهم على اتباع طريق الحق طريق الله المستقيم.

أما أعداء الإسلام فكان غرضهم على العكس من ذلك كان غرضهم إبعاد الناس عن طريق الله والسعي بهم إلى طريق الضلال.

obeikandl.com

رابعًا: التعجيز والتحدي:

يقال عجز فلان عن الشيء عجزا وعجزانًا: معناه ضعف ولم يقدر عليه فهو عاجز(١).

والتعجيز: هو محاولة إخراج الخصم بطلب شيء يتعذر تحقيقه أو هو فوق طاقته وقدراته وذلك لإظهار الخصم بموقف العاجز أو الكاذب سعيًا من الخصم في تأليب أنصار عدوه عليه.

أما التحدي فهو تحقيق إعجاز عظيم لا يستطيع الخصم الإتيان بمثله أو تكذيبه أو إبطاله(٢).

وتعتبر وسيلة التعجيز واحدة من وسائل الحرب النفسية التي استخدمت كثيرًا ضد الرسول ﷺ فقد كان القرشيون في حربهم النفسية يبتدعون كل يوم لونًا جديدًا بهدف الحد من سعة انتشار الإسلام.

ومن هذه المبتدعات: مطالبتهم الرسول ﷺ بمعجزات حسية ملموسة وكان قصدهم من مطالبهم إحراج الرسول ﷺ فطلبوا أن يزحزح الرسول بطلب من ربه الجبال التي تحيط بمكة والتي ضيقت عيشهم وطلبوا أن يفجر عيون الماء ليحل مشكلة المياه وأن يحول القفار إلى جنان من نخيل وأعناب، وطلبوا كتابًا ينزل من السماء يلمسونه بأيديهم ويرونه بأعينهم وطلبوا أن يبعث آباءهم من موتهم حتى يصدقوا بالبعث، ثم طلبوا ملكًا ينزل مع الرسول ﷺ يشهد له ويؤيده(٣).

ومن الآيات التي تحكي ما حاوله المشركون من تعجيز وتيئيس وتحد للرسول ﷺ قول الله عز وجل: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوۡ

---

(١) المعجم الوجيز مجمع اللغة العربية، مادة عجز (ص٤٠٧).
(٢) الحرب النفسية في العصر المدني، مرجع سابق (ص٤٨٨).
(٣) الحرب النفسية من منظور إسلامي، د/ أحمد نوفل (٢/ ٢٨، ٣٠).

تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٤].

سبب النزول:

روى عكرمة عن ابن عباس أن عتبة وشيبة وأبا سفيان والنضر بن الحارث وأبا البختري والوليد بن المغيرة وأبا جهل وعبد الله بن أمية وأمية بن خلف ورؤساء قريش اجتمعوا عند ظهر الكعبة، فقال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد وكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه، فبعثوا إليه أن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك، فجاءهم سريعًا وهو يظن أنهم بدا لهم في أمرهم بداء، وكان عليهم حريصًا يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم حتى جلس إليهم، فقالوا: يا محمد، إنا والله لا نعلم رجل من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وسفهت الأحلام، وشتمت الآلهة، وفرقت الجماعة، وما بقي أمر قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك، فإن كنت إنما جئت بهذا لتطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا ما تكون به أكثرنا مالاً، وإن كنت قد تطلب الشرف فينا سودناك علينا، وإن كنت تريد ملكًا ملكناك علينا، وإن كان هذا الرئي الذي يأتيك تراه قد غلب عليك -وكانوا يسمون التابع من الجن الرئي- بذلنا أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه أن نعذر فيك، فقال رسول الله ﷺ: «**ما بي ما تقولون، ما جئتم بما جئتم به لطلب أموالكم، ولا لشرف فيكم، ولا لملك عليكم، ولكن الله عز وجل بعثني إليكم رسولاً، وأنزل عليّ كتابًا وأمرني أن أكون لكم بشيرًا ونذيرًا، فبلغتكم رسالة ربي، ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم بيني وبينكم**» قالوا له: يا محمد، فإن

كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلادًا ولا أقل مالاً ولا أشد عيشًا منا، فسل لنا ربك الذي بعثك لما بعثك فلييسر عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا ويبسط لنا بلادنا، ويجر فيها أنهارًا، كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن ممن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب فإنه كان شيخًا صدوقًا، فنسأله عما تقول، أحق هو أم باطل؟، فإن صنعت ما سألناك صدقناك، وعرفنا به منزلتك عند الله، وأنه بعثك رسولاً كما تقول، فقال رسول الله ﷺ: «**ما بهذا بعثت إنما جئتكم من عند الله سبحانه بما بعثني به، فقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم، فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه أصبر لأمر الله**» قالوا: فإن لم تفعل هذا فسل ربك أن يبعث ملكًا يصدقك، وسله فليجعل لنا جنانًا وكنوزًا وقصورًا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي.

فإنك تقوم في الأسواق كما نقوم، وتلتمس المعاش كما نلتمسه حتى نعرف فضلك ومنزلك من ربك إن كنت رسولاً كما تزعم، فقال رسول الله ﷺ: «**ما أنا بفاعل ولا بالذي يسأل ربه هذا، وما بعثت إليكم بهذا، ولكن الله تعالى بعثني بشيرًا ونذيرًا**» قالوا: فأسقط علينا كسفًا من السماء كما زعمت، أن ربك إن شاء فعل، فقال رسول الله ﷺ: «**ذلك إلى الله إن شاء فعل**»، فقال قائل منهم: «لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلا»، وقال عبد الله بن أمية المخزومي، وهو ابن عاتكة بنت عبد المطلب ابن عمة النبي ﷺ: «لا أؤمن أبدًا حتى تتخذ إلى السماء سلمًا وترقى فيه، وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتي بنسخة منشورة معك، ونفر من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول»، فانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزينًا لما قاته من متابعة قومه، ولما رأى من مباعدتهم منه فأنزل الله تعالى الآيات السابقة[1].

---

(١) أسباب النزول للواحدي (ص٢٤٦، ٢٤٧)، وانظر: كنوز القرآن وبيان الفرقان للشيخ عبد العزيز الشناوي (ص٢٣٠، ٢٣٢).

﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ ﴾ لن نصدقك[١] ولن نعترف لك يا محمد بنبوتك ورسالتك[٢] وقد بين العلامة الشوكاني القائلون فقال: والقائلون هم رؤساء مكة كعتبة وشيبة ابني ربيعة وأبي سفيان والنضر بن الحارث[٣].

وقد فسر الإمام القرطبي قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعٗا ﴾ ﴿ تَفۡجُرَ ﴾ مخففة لأن الينبوع واحد و﴿ يَنۢبُوعًا ﴾ يعني: العيون[٤].

﴿ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ﴾ مشددة لأن الأولى بعدها ينبوع وهو واحد والثانية بعدها الأنهار وهو جمع.

وأجيب عنه بأن الينبوع وإن كان واحدًا في اللفظ فالمراد به الجمع، فإن الينبوع العيون التي لا تنضب ويرد بأن الينبوع: عين الماء والجمع ينابيع وإنما يقال للعين ينبوع إذا كانت غزيرة من شأنها النبوع من غير انقطاع، والياء زائدة كيعبوب من عب الماء[٥].

﴿ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ ﴾ أي بستان تستر أشجاره أرضه والمعنى: هب أنك لا تفجر الأنهار لأجلنا ففجرها من أجلك بأن تكون لك جنة من نخيل وعنب ﴿ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ﴾ تجريها بقوة، ﴿ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ﴾ أي وسطها تفجيرًا كثيرًا[٦].

﴿ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا ﴾ أي قطعًا من العذاب[٧]، ﴿ أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلٗا ﴾ اختلف المفسرون في معنى ﴿ قَبِيلاً ﴾ فقيل معناه: كفيلاً، وقيل: شهيدًا.

---

(١) معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٣٦).
(٢) تنوير الأذهان للبروسوي (٢/ ٣٦٤).
(٣) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٦٣) بتصرف.
(٤) الجامع لأحكام القرآن الكريم (٦/ ٣٩٤٦) باختصار وتصرف.
(٥) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٦٣).
(٦) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٦٣).
(٧) تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (٣/ ١٤٧).

وقيل: هو جمع القبيلة أي تأتي بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة، وقيل ضمنًا.

وقيل: مقابلاً كالعشير والمعاشر[١].

﴿ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ﴾ أي من ذهب وأصله الزينة والمزخرف المزين[٢].

والمعنى: أي نحن لا ننقاد لك مع هذا الفقر الذي نرى.

﴿ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي تصعد في السماء، يقال: رقيت في السلم أرقى رقيًا ورقيا إذا صعدت وارتقيت مثله[٣].

﴿ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ ﴾ أي لأجل رقيك وهو مصدر نحو مضي: يمضي مضيا وهوى يهوى هويًا[٤].

﴿ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ ﴾ فيه تصديقك، قال عبد الله بن أمية: لن نؤمن حتى تضع على السماء سلمًا ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها ثم تأتي معك بصك منشور معه أربعة من الملائكة يشهدون لك أن الأمر كما تقول.

ولما حكى الله سبحانه وتعالى عن الكفار اقتراح هذه المعجزات قال لمحمد ﷺ: ﴿ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾[٥] أي من البشر لا ملكًا حتى أصعد السماء.

﴿ رَّسُولٗا ﴾ رسولاً مأمورًا من الله سبحانه بإبلاغكم فهل سمعتم أيها المقترحون لهذه الأمور أن بشرًا قدر على شيء منها[٦].

قال الإمام الرازي: اعلم أنهم اقترحوا على رسول الله ﷺ أنواعًا من المعجزات أولها قولهم: ﴿ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعٗا ﴾، ثانيها قولهم: ﴿ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن

(١) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٦٤) باختصار وتصرف.
(٢) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٦٤) باختصار.
(٣) الجامع لأحكام القرآن الكريم، للقرطبي (٦/ ٣٩٤٧).
(٤) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٦٤).
(٥) مفاتيح الغيب للرازي (١٠/ ٢٠٨).
(٦) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٦٤) باختصار.

نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴾ ، ثالثها: قولهم: ﴿ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا ﴾ (١).

والواضح أن المشركين كانوا يقصدون مثل هذه الاقتراحات اللجاج والعناد ولو كان مرادهم الاسترشاد لكفاهم ما شاهدوا من المعجزات(٢).

فالآيات الكريمة دلالة واضحة على مبالغة أعداء الإسلام في تحديهم وتعجيزهم للرسول ﷺ بطلبهم أمورًا متعددة يعجز الرسول ﷺ عن إجابتهم إليها.

وهذا شأن المعاندين الجاحدين لا من أراد الهداية والاسترشاد ولكن الرسول ﷺ يرد عليهم في محاولتهم هذه أن إجابتهم لتلك الأمور ليس من شأنه فما هو إلا بشر أرسله الله إليهم ليبلغهم شرع الله عز وجل.

ومن المواقف التي ذكرت في كتب السيرة والتي تدل على استخدام المشركين لوسيلة التعجيز والتحدي للرسول ﷺ كوسيلة من وسائل الحرب النفسية:

أنهم طالبوا النبي ﷺ بأن يبعث لهم قصي بن كلاب مؤسس قبيلة قريش والذي نجح في توحيد بطونها حتى إذا بعث قصي سألوه عن محمد وهل هو حقيقة رسول الله(٣) فأبدى الرسول ﷺ حكمة عالية وثباتًا ورباط الجأش وكان مع هؤلاء المشركين حليمًا فلم يعبأ بهذا الهراء واللجاج والعناد الذي يصور عقليات هؤلاء الوثنيين الجاهلين ومدى ضيق أفقهم(٤).

فقال الرسول ﷺ : «**ما بهذا بعثت إليكم إنما جئت من الله بما بعثني وقد بلغتكم بما أرسلت به إليكم فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا وإن تردوه علي أصبر لأمر الله تعالى حتى**

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي (١٠/ ٢٠٥، ٢٠٦) بتصرف.
(٢) تنوير الأذهان (٢/ ٣٦٤)، ط/ دار القلم.
(٣) الرسول والحرب النفسية، د/ علي حسن الخربوطلي (ص٣٣).
(٤) الحرب النفسية في صدر الإسلام، د/ مخلف بن محمد (ص٤٩٧).

يحكم الله بيني وبينكم»[١]. ولولا أنهم كانوا معاندين متعنتين لكفت إجابته ﷺ لهم إذا كانوا يريدون الهداية والرشاد.

أما اليهود فقد كان لهم باع طويل في استخدامهم لهذه الوسيلة من وسائل الحرب النفسية ضد الرسول ﷺ ولا غرابة في ذلك فهم أشد الناس عداوة للرسول وأتباعه وهم أقسى الناس قلوبًا وأخبثهم نفوسًا.

ومن الآيات التي ذكرها القرآن الكريم التي تبين استخدام اليهود لوسيلة التعجيز والتحدي للنبي ﷺ قول الله عز وجل: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٥٣].

سبب نزول هذه الآية:

نزلت في اليهود قالوا للنبي ﷺ: إن كنت نبيًا فأتنا بكتاب جملة من السماء كما أتى به موسى فأنزل الله تعالى هذه الآية[٢].

قوله: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي اليهود ﴿أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ أي أن يصعد وهم يرونه فينزل عليهم كتابًا فيما يدعيه على صدقه دفعة واحدة كما أتى موسى بالتوراة؛ تعنتًا له ﷺ فأعلم الله عز وجل أن آباءهم قد عنتوا موسى عليه السلام بأكبر من هذا ﴿فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ أي عيانًا[٣].

وكان هذا السؤال منهم سؤال تحكم واقتراح لا سؤال انقياد، والله تعالى لا ينزل

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٠٨) باختصار وتصرف.
(٢) أسباب النزول للإمام الواحدي (ص١٥٣)، ط/ دار الحديث.
(٣) الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٢٠٠٢) باختصار وتصرف.

الآيات على اقتراح العباد[١].

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ﴾ هي النار التي نزلت عليهم من السماء فأهلكتهم[٢].

﴿ بِظُلْمِهِمْ ﴾ بطغيانهم وبغيهم وعُتُوِّهم[٣] ﴿ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ﴾ أي عما كان منهم من التعنت وعبادة العجل، ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴾ أي حجة بينة وهي الآيات التي جاء بها[٤].

لقد وقف اليهود في الجزيرة من الإسلام ونبي الإسلام ذلك الموقف العدائي المتعنت المكشوف وكادوا له الكيد المستمر العنيد.

إنهم يتعنتون فيطلبون إلى رسول الله ﷺ أن يأتيهم بكتاب من السماء كتاب مخطوط ينزل عليهم من السماء مجسمًا يلمسونه بأيديهم.

إن هذه الجبلة ليست جديدة عليهم، وليست طابعًا عند هذا الجيل وحده منهم، إنما هي حيلتهم من قديم، إنهم هم من عهد موسى -نبيهم ومنقذهم- إنهم هُم هم غلظ الحس فلا يدركون إلا المحسوسات، وهم هم أكثر تعنتًا وإعناتًا فلا يسلمون إلا تحت القهر والضغط وهم هم أشد كفرًا وغدرًا، فسرعان ما ينقلبون فينقضون عهدهم لا مع الناس وحدهم ولكن مع ربهم كذلك، وهم هم قحة وافتراء فلا يعنيهم أن يتثبتوا من قول ولا يتورعون كذلك عن الجهر بالمنكر، وهم هم طمعًا في عرض الدنيا، وأكلاً لأموال الناس بالباطل وإعراضًا عن أمر الله وما عنده من ثواب.

إنها جملة تفضحهم وتكشفهم وتدل قوتها وتنزع اتجاهاتها على ما كان يقتضيه الموقف لمواجهة خبث الكيد اليهودي بالإسلام، ونبي الإسلام في ذلك الأوان.

---

(١) معالم التنزيل للبغوي (١/ ٤٩٥) باختصار.
(٢) فتح القدير للشوكاني (١/ ٦٢٥) باختصار.
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٥٤).
(٤) فتح القدير للشوكاني (١/ ٦٢٥).

وهو هو خبث الكيد الذي ما يزالون يزاولونه ضد هذا الدين وأهله حتى الآن[١].

ولقد كان استخدام المنافقين لوسيلة التعجيز والتحدي ظاهرًا في كل عمل يعمله الكفار أو اليهود لأنهم هم الشر المستطير والعدو الخفي للإسلام والمسلمين لأنهم يعرفون أسرار المسلمين وخفاياهم لأنهم يعيشون بينهم ويتصفون بجلدتهم كما أن معظمهم من اليهود والكفار الذين اندسوا بين صفوف المسلمين مظهرين الإسلام ومبطنين الخبث والكيد له كما كانوا مطايا يمتطيهم اليهود ويمتطيهم الكفار في تنفيذ أغراضهم لكشف أسرار المسلمين والتخطيط لأعدائهم[٢].

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٢/ ٧٩٩، ٨٠٠).
(٢) الحرب النفسية في العهد المدني، مرجع سابق (ص٥٠٢).

obeikandl.com

منهج القرآن في الرد على وسيلة التعجيز والتحدي:

لقد فضح القرآن الكريم استخدام أعداء الإسلام لوسيلة التعجيز والتحدي ورد عليها أبلغ رد فأسقطها وأبطل مفعولها فلم يعد لها أثر في نفس النبي ﷺ ولا في نفس أصحابه.

ولقد استخدم القرآن وسيلتين في الرد على تحدي أعداء الإسلام وتعجيزهم:

الأول: أنه أورد المسائل التي حاولوا بها تعجيز النبي ﷺ ورد عليها.

الثاني: استخدام القرآن معهم نفس الوسيلة وهي التحدي والتعجيز.

الأول: أنه أورد المسائل التي حاولوا بها تعجيز النبي ﷺ ورد عليها:

فلقد أورد القرآن الكريم المسائل التي حاولوا بها تعجيز النبي ﷺ ورد عليها، قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٣].

يقول العلامة القرطبي في تفسيره لآيات الإسراء مبينًا أن في رد القرآن في قوله: ﴿ هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾ الرد الكافي على ما اقترحوا من طلب للمعجزات فقال: ﴿ سُبۡحَانَ رَبِّي ﴾ تنزيها لله عز وجل عن أن يعجز عن شيء وعن أن يعترض عليه في فعل، وقيل هذا كله تعجب عن فرط كفرهم واقتراحاتهم أو هو أمر للنبي أي قل لهم يا محمد ﴿ هَلۡ كُنتُ ﴾ أي ما أنا ﴿ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾ أتبع ما يوحى إلي من ربي ويفعل الله ما يشاء من هذه الأشياء التي ليست في قدرة البشر فهل سمعتم أحدًا من البشر أتى بهذه الآيات؟ وقال بعض الملحدين: ليس هذا جوابًا مقنعًا وغلطوا؛ لأنه أجابهم فقال: إنما أنا بشر لا أقدر على شيء مما سألتموني، وليس علي أن أتخير على ربي ولم تكن الرسل قبلي يأتون أممهم بكل ما

يريدونه ويبغونه وسبيلي سبيلهم وكانوا يقتصرون على ما آتاهم الله من آياته الدالة على صحة نبوتهم فإذا أقاموا عليهم الحجة لم يجب لقومهم أن يقترحوا غيرها ولو وجب على الله أن يأتيهم بكل ما يقترحونه من الآيات لوجب عليه أن يأتيهم بمن يختارونه من الرسل ولوجب لكل إنسان أن يقول: لا أؤمن حتى أوتي بآية خلاف ما طلب غيري وهذا يئول إلى أن يكون التدبير إلى الناس وإنما التدبير إلى الله تعالى(١).

وقال تعالى أيضًا: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۖ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ۝٨ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ۝٩ تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَيَجۡعَل لَّكَ قُصُورَۢا ۝١٠ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [الفرقان: ٧-١١].

فقد رد الله سبحانه وتعالى عليهم بأنه قادر على أن يفعل للرسول أفضل مما اقترحوا وأن علة تحديهم وتعجيزهم للنبي إنما هي تكذيبهم للساعة وسينتظرهم فيها العذاب الأليم.

وقال تعالى أيضًا: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةٗ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٣٧].

وقد رد الله سبحانه وتعالى ببيان أن قدرته لا تتحدى ولا تعجز أمام أي شيء.

إن الرد المنهجي على هذه القائمة المطولة من المطالب والاقتراحات هو ما علمه الله سبحانه لنبيه الكريم وهو أنه لا استجابة للضغوط ولا سماح للنبي ﷺ أن يستخفه الذين لا يؤمنون بمطالبهم أو يظن أنه هو الطريق لإسلامهم، إنه لا حيدة عن المنهج الفكري في الإيمان أما منهج لي الأعناق بالآيات الخارقة والمعجزات الحسية كما يطالبون في تحكم

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي (٦/ ٣٩٤٧) باختصار وتصرف.

متغطرس فلا[١].

ولا شك أن القرآن برده على تحدي وتعجيز أعداء الإسلام فيه من التهوين من شأن هؤلاء الأعداء ما فيه وفيه من تقوية قلب النبي ﷺ وأتباعه ما فيه كما فيه تفويت لغرضهم أن يكون لتحديهم وتعجيزهم للرسول ﷺ وللمسلمين أي أثر على نفوسهم.

ثانيًا: استخدام القرآن معهم نفس الوسيلة:

إن القرآن استخدم مع الأعداء نفس الوسيلة وهو وسيلة التحدي والتعجيز ولكنهم عجزوا عن الرد أو الصمود.

قال الإمام الرازي: اعلم أن التحدي بالقرآن جاء على وجوه أحدها قوله تعالى: ﴿ قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [القصص: ٤٩].

والثاني: قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

وثالثها: قوله تعالى: ﴿ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ ﴾ [هود: ١٣].

ورابعها: قوله تعالى: ﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٣].

ونظير هذا كمن يتحدى صاحبه بتصنيفه فيقول: ائتني بنصفه، ائتني بربعه، ائتني بمسألة منه، فإن هذا هو النهاية في التحدي وإزالة العذر[٢].

وإذا كان القرآن الكريم قد استخدم وسيلة التعجيز والتحدي فلقد كان غرضه من استخدامها هداية الناس وإرجاعهم إلى خالقهم عز وجل وتخليهم عن العناد والكفر.

أما غرض أعداء الإسلام من استخدامها فلقد كان التعنت والجحود والوقوف ضد الأنبياء وإضعاف موقفهم وشتان ما بين الغرضين.

قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ

---

(١) الحرب النفسية من منظور إسلامي، د/ أحمد نوفل (٢/ ٣٣، ٣٤) باختصار وتصرف.

(٢) مفاتيح الغيب للرازي (١/ ٥١٤).

أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، فقوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ جواب للشرط على أن اتقاء النار كناية عن الاحتراز من العناد أي لتسببه عنه وترتبه عليه، كأنه قيل: فإذا عجزتم عن الإتيان بمثله كما هو المقرر فاحترزوا من إنكار كونه منزلاً من عند الله سبحانه فإنه مستوجب للعقاب بالنار لكن أوثر عليه الكناية المذكورة المبينة على تصوير العناد بصورة النار وجعل الاتصاف به عين الملابسة بها للمبالغة في تهويل شأنه وتفظيع أمره وإظهار كمال العناية بتحذير المخاطبين منه وتنفيرهم عنه وحثهم على الجد في تحقيق المنهي عنه وفيه من الإيجاز البديع ما لا يخفى حيث كان الأصل: فإن لم تفعلوا فقد صح صدقه عندكم وإذا صح ذلك كان لزومكم العناد وترككم الإيمان به سببًا لاستحقاقكم العقاب بالنار فاحترزوا منه واتقوا النار[1].

وهكذا يتبين لنا أن رد القرآن على وسيلة التعجيز والتحدي التي استخدمها أعداء الإسلام قد أبطلها وأدحضها وجعلها لا أثر لها في نفس الفئة المؤمنة ففي رد القرآن على هذه الوسيلة ما جعل أعداء الإسلام هم الذين في موقف العجزة بعدما كانوا يريدون العكس.

وهكذا تبين من الآيات التي ذكرتها كيف أن التحدي والتعجيز قد استخدم ضد الرسول ﷺ من جبهات مختلفة مما يدل على قوة تحمله ﷺ وصبره على أعباء الطريق في سبيل نشر دعوته، وكيف أن الله سبحانه وتعالى قد تولى الرد على كل ما تعرض له الرسول الكريم من تحد وتعجيز، وفي ذلك رباط لجأش النبي ﷺ وتقوية لعزمه وبشيرًا لكل من يؤذى في سبيل الله بأن الله معه وسيدافع عنه وينصره.

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم، لأبي السعود (١/ ٨٢) باختصار وتصرف.

openkandil.com

خامسًا: الخداع والتمويه:

تعتبر وسيلة الخداع من الوسائل المتأصلة في الحرب النفسية والتي استخدمت على مر العصور ولا سيما ضد الرسول ﷺ والمؤمنين، وقبل أن أتعرض لتفسير بعض الآيات التي وردت في القرآن الكريم والتي تتحدث عن استخدام أعداء الإسلام لهذه الوسيلة سأعرف الخداع أولاً.

الخداع لغة: خدع خدعا: تغير من حال إلى حال، يقال: خدع فلان: تخلق بغير خلقه ويقال: هو خادع الرأي، متلون لا يثبت على رأي وفلانًا خدعا وخدعة وخديعة: أظهر له خلاف ما يخفيه وأراد به المكروه من حيث لا يعلم(١).

وترجع أهمية هذه الوسيلة من وسائل الحرب النفسية إلى أنها عامل أساسي تعتمد عليه الدول في القديم وفي العصر الحاضر للتمويه على الخصوم وإرهاب أعدائهم وتحطيم أنفسهم والتأثير على أعصابهم بما قد يغير الموقف بين المتخاصمين أو المتحاربين(٢).

ويعرف الخداع في الحرب: بأنه خداع القائد للأعداء بأن يوهمهم بأن عدد جنوده كثرة كاثرة وعتاده قوة لا تقهر(٣).

ولقد استخدم هذه الوسيلة كل من المشركين والمنافقين وأهل الكتاب.

ومن استخدام المشركين لها محاولتهم خداع الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين من أجل أن يثنوهم عن دينهم:

يقول ابن هشام في ذلك: اعترض رسول الله ﷺ وهو يطوف بالكعبة زعماء قريش فقالوا: يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد فنشترك نحن وأنت في الأمر فإن كان الذي تعبد خيرًا

---

(١) المعجم الوجيز، مادة: خدع (ص١٨٧).

(٢) الجهاد والفدائية في الإسلام، حسن أيوب (ص١٤٣)، ط/ دار الندوة، بيروت، ١٤٠٣هـ.

(٣) الحرب النفسية في صدر الإسلام، مرجع سابق (ص٤٥٢، ٤٥٣) باختصار وتصرف.

مما نعبد كنا أخذنا بحظنا منه وإن كان ما نعبد خيرًا مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه[١].

فأنزل الله قوله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ... ﴾ السورة، والسورة الكريمة تمثل نموذجًا واضحًا لما تعرض له الرسول ﷺ من محاولات للخداع فقد احتالوا عليه بكونهم يعبدون إلهه ويعبد إلههم فجاءت السورة الكريمة قولاً فاصلاً في أن الإسلام لا يقبل الشرك وأن تعاليمه لا يساوم عليها وفي ذلك تيئيس لهم عن ابتاع هذه الوسيلة وقطع لآمالهم أن يخدعوا النبي ﷺ أو أن يستميلوه.

يقول العلامة ابن عاشور عند تفسيره لهذه السورة موضحًا لغرضها:

وبهذا يعلم الغرض الذي اشتملت عليه وأنه تيئيسهم من أن يوافقهم في شيء مما هم عليه من الكفر بالقول الفصل المؤكد في الحال والاستقبال وأن دين الإسلام لا يخالط شيئًا من دين الشرك[٢].

ومن الآيات الواردة في القرآن الكريم التي توضح محاولات المشركين لخداع المؤمنين بإغوائهم وإغرائهم كما توضح فساد تصور المشركين لقضية التبعة قول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٢].

فكفار قريش قالوا لمن آمن برسول الله ﷺ لا نبعث نحن ولا أنتم فاتبعونا فإن كان عليكم شيء فهو علينا[٣].

والآية الكريمة كما توضح الخديعة التي حيكت كذلك افتضحت أمرهم وبينت كذبهم فما هم إلا مخادعون كاذبون محتالون عليكم أيها المؤمنون ليثنوكم عن دينكم

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٤٤) باختصار وتصرف.
(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور الجزء الثلاثون (١٥/ ٥٨٠) باختصار وتصرف.
(٣) زاد المسير لابن الجوزي (٦/ ٢٦٠) بتصرف.

فانتبهوا.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ القائلون هم طائفة منهم وهم أبو جهل والوليد بن المغيرة وأمية بن خلف وأبو سفيان بن حرب قبل أن يسلم، قالوا للمسلمين ومنهم عمر بن الخطاب(١).

﴿ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا ﴾ اسلكوا طريقتنا وادخلوا في ديننا، ﴿ وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ ﴾ أي إن كان اتباع سبيلنا خطيئة تؤاخذون بها عند البعث والنشور كما تقولون فلنحمل ذلك عنكم(٢).

ثم يؤكد نفي صدق هذه الخديعة فيقول: ﴿ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ﴾ فهذا نفي مؤكد عن سبيل الاستمرار لكونهم حاملين شيئًا من خطاياهم التي التزموا حملها(٣).

ثم بينت الآية كذبهم في ادعائهم حمل خطايا المؤمنين وأنهم مخادعون فيها بقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ فيما ضمنوا به من حمل على المعنى، لأن المعنى: إن اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم فلما كان الأمر يرجع في المعنى إلى الخبر أوقع عليه التكذيب(٤) كما يوقع على الخبر(٥).

ولقد بين العلامة ابن عاشور الغرض من محاولة المشركين فقال: هذا غرض آخر من أغراض مخالطة المشركين مع المؤمنين وهو محاولة المشركين ارتداد المسلمين بمحاولات فتنتهم بالشك والمغالطة للذين لم يقدروا على فتنتهم بالأذى والعذاب، إما لعزتهم

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور الجزء العشرون (١٠/ ٢١٩) باختصار وتصرف.
(٢) فتح القدير للشوكاني (٤/ ١٨٨).
(٣) روح المعاني للألوسي الجزء العشرون (١١/ ٢٠٩).
(٤) وحمل التكذيب على المعنى ولم يحمل على اللفظ لأن اللفظ جملة إنشائية وهي الأمر والجملة الإنشائية لا تحتمل الصدق والكذب.
(٥) فتح القدير للشوكاني (٤/ ١٨٨).

وخشية بأسهم مثل عمر بن الخطاب فقد قيل: إن هذه المقالة قيلت له، وإما لكثرتهم حين كثر المسلمون وأعيت المشركين حيل الصد عن الإسلام[١].

ومن مواقف المشركين في خداع المسلمين ما حدث غزوة حنين حين وضع قائد هوازن مالك بن عوف عددًا كبيرًا من الكمائن في الشعاب والمضايق وضعها في طريق المسلمين أثناء الليل وقد نجحت تلك الخدعة ونزلت بالمسلمين الهزيمة في أول الأمر من المعركة[٢].

ومن مواقفهم في الخداع أيضًا ما حدث في فاجعة بئر معونة حيث قتل أعيان بني عامر في وديان مجد سبعين رجلاً من المسلمين بعدما اقترحوا على الرسول ﷺ أن يرسل وفدًا إلى ديارهم يدعون أهلها إلى الإسلام فذهب الوفد معهم ولكن ذلك كان خدعة من بني عامر حيث استصرخوا عليهم قبائل بني عمار فقضوا على جميع أعضاء الوفد، وكذلك مثلها حادثة الرجيع من قبل القبائل الحجازية بني خزيمة الذي طلبوا خداعًا وفدًا يعلمهم الإسلام بعدما تظاهروا بالإسلام فاستجاب النبي ﷺ لطلبهم فأرسل معهم وفدًا من عشرة من كبار الصحابة، ولما وصلوا إلى الرجيع استصرخوا عليهم قبيلة هزيل فقتلوا منهم سبعة واستسلم ثلاثة منهم[٣].

ثم ماذا عن خداع الجبهة الثانية المعادية للرسول ﷺ وهم المنافقون: لقد تخصص المنافقون في مجال النفاق وقد مردوا عليه فاستخدموا هذه الوسيلة من وسائل الحرب النفسية ضد الإسلام والمسلمين بكل خبث وغباء حتى إنهم قد خدعوا أنفسهم بمخادعتهم لله رب العالمين قال تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور، الجزء العشرون (١٠/ ٢١٩).
(٢) محمد أحمد باشمل، غزوة حنين (ص١٣٥) باختصار وتصرف.
(٣) السيرة النبوية، غزوة الأحزاب، محمد أحمد باشميل (ص١٦-١٨)، وانظر: القيم الخلقية والإنسانية في الغزوات، أ/ حسن فتح الباب (ص١٠٤، ١١٠) باختصار وتصرف، ط/ مجمع البحوث الإسلامية.

إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩].

يقول العلامة البيضاوي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الخداع أن توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتنزله عما هو فيه وعما هو بصدده من قولهم خدع الضب إذا توارى في جحره والمخادعة تكون بين اثنين(١).

ثم بين العلامة الشوكاني طبيعة كل من خداع الله سبحانه وخداع المؤمنين وخداع المنافقين، فقال: والمراد من مخادعتهم لله أنهم صنعوا معه صنع المخادعين وصيغة فاعل تفيد الاشتراك في أصل الفعل فكونهم يخادعون الله والذين آمنوا يفيد أن الله سبحانه والذين آمنوا يخادعونهم.

والمراد بالمخادعة من الله أنه لما أجرى عليهم أحكام الإسلام مع أنهم ليسوا منه في شيء فكأنه خادعهم لذلك كما خدعوه بإظهار الإسلام وإبطان الكفر مشاكلة لما وقع منهم.

والمراد بمخادعة المؤمنين لهم هو أنهم أجروا عليهم ما أمرهم الله به من أحكام الإسلام ظاهرًا(٢).

﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾ والمعنى أن دائرة الخداع راجعة إليهم وضررها يحيق بهم أو أنهم في ذلك خدعوا أنفسهم لما غروها بذلك وخدعتهم أنفسهم حيث حدثتهم بالأماني الفارغة وحملتهم على مخادعة من لا تخفى عليه خافية.

﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ لا يحسون بذلك لتمادي غفلتهم(٣) فوبال الخداع راجع إليهم ومحيط بهم فما هم إلا خلق ضعيف يحاول خداع منهج الله سبحانه ومطبقيه وأنى لهم ذلك أنى كانوا ومتى كانوا.

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (١/ ٢٥) باختصار وتصرف.
(٢) فتح القدير للشوكاني (١/ ٩٧) باختصار وتصرف.
(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (١/ ٢٥، ٢٦) باختصار وتصرف.

obeikandl.com

يقول الأستاذ محمد رشيد رضا تعليقًا على هذه الآية: فإن كان مات من كانوا سبب النزول فالقرآن حي لا يموت ينطبق حكمه ويحكم سلطانه على الناس في كل زمان، فكل مؤمن بالله واليوم الآخر ومع ذلك يصدر في عمله عن شهواته ولا يمنعه إيمانه عن ركوب خطيئاته، فاعتقاده إنما هو خيال، لا يعدو عن لفظ في مقال، ودعوى عند جدال، فإذا ركن إلى هذا المعتقد فهو خادع لنفسه، مخادع لربه يظن أن علام الغيوب لا ينظر إلى ما في القلوب(١).

ومن مواقف المنافقين المخادعة التستر وراء أعمال تخفي وراءها ما ليس في ظاهرها ومن ذلك قصة مسجد الضرار الذي أقامه فريقًا من المنافقين في المدينة والذي كان ظاهرها إظهار فرط تقواهم أما باطنه فكان التآمر ضد المسلمين واستقبال جنود الروم الذي سيأتون لغزو المدينة(٢).

ولكن الله سبحانه وتعالى دائمًا يخيب كيدهم ويفضح أمرهم فنزلت الآيات تبين حقيقة النية التي بنى المنافقون المسجد من أجلها، وحذر النبي ﷺ وأتباعه عن الانخداع بهم والوقوع في حبالهم.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٧].

يقول العلامة الواحدي في سبب نزول هذه الآية: إن المنافقين عرضوا بمسجد يبنونه ليضاهئو به مسجد قباء وهو قريب منه لأبي عامر الراهب يرصدونه إذا قدم ليكون إمامهم فيه فلما فرغوا من بنائه أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إنا بنينا مسجدًا فصل فيه

(١) تفسير المنار، أ/ رشيد رضا (١/ ١٣٠).

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص٢١٤)، وانظر: السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٩٢).

حتى نتخذه مصلى فقام معهم فنزلت ﴿ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ ﴾[١].

ومعنى ﴿ ضِرَارٗا ﴾ مضرة للإسلام ورسوله وأتباعه، ﴿ وَكُفۡرٗا ﴾ وتقوية للكفر الذي يضمرونه، ﴿ وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ الذين كانوا يجتمعون في مسجد قباء فإنهم أرادوا ببنائهم المسجد صرف بعض الجماعة إليه وتفريق كلمتهم[٢].

﴿ وَإِرۡصَادٗا ﴾ ترقبًا وانتظارًا، ﴿ لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ يقول العلامة الألوسي: هو أبو عامر والد حنظلة غسيل الملائكة ﷺ وكان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح وتنصر فلما قدم النبي ﷺ : قال له أبو عامر ما هذا الذي جئت به؟ فقال له عليه الصلاة والسلام: «**إنك لست عليها**» فقال: بلى ولكنك أنت أدخلت فيها ما ليس منها، فقال النبي ﷺ : «**ما فعلت ولكن جئت بها بيضاء نقية**»، فقال أبو عامر: أمات الله تعالى الكاذب منا طريدًا وحيدًا فأمن النبي ﷺ فسماه الناس أبا عامر الكذاب، وسماه النبي ﷺ الفاسق، فلما كان يوم أحد قال للنبي ﷺ : لا أجد قومًا يقاتلونك إلا قاتلتك معهم فلم يزل كذلك إلى يوم حنين فلما انهزمت هوازن يومئذ ولى هاربًا إلى الشام وأرسل المنافقين يحثهم على بناء مسجد فبنوه وبقوا فيه منتظرين قدومه ليصلي فيه ويظهر على رسول الله ﷺ فهدم المسجد ومات أبو عامر وحيدًا بقنسرين[٣] وبقي ما أضمروه حسرة في قلوبهم[٤].

يقول الأستاذ رشيد رضا في قوله تعالى: ﴿ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ ﴾ أخبار مؤكد بالقسم أنهم سيحلفون أنهم ما أرادوا ببنائه إلا الخصلة أو الخطة التي تفوق غيرها في الحسن وهي الرفق بالمسلمين وتيسير صلاة الجماعة على أولي العجز والضعف ومن

---

(١) أسباب النزول للواحدي (ص٢١٥).

(٢) تنوير الأذهان للبروسوي (٢/ ١٠٤).

(٣) اسم بلدة في الشام، روح المعاني للألوسي (٧/ ٢٧) الجزء الحادي عشر.

(٤) روح المعاني للعلامة الألوسي الجزء الحادي عشر (٧/ ٢٧).

يحبسه المطر منهم ليصدقهم الرسول ﷺ ويصلي لهم فيه.

﴿ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾ في قولهم حانثون بيمينهم[١].

وكذلك سقطت خدعتهم وبطلت حيلتهم فهم مخادعون مراوغون كاذبون فلم يفتهم أن يستخدموا وسيلة الخداع ضد الرسول ﷺ ولم لا والخداع من أبرز سماتهم فهو يجري فيهم مجرى الدم في العروق.

ومن المواقف التي حكاها القرآن توضح استخدام أهل الكتاب لهذه الوسيلة قول الله تعالى: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٢].

يقول الإمام الواحدي في سبب نزول هذه الآية: تواطأ اثنى عشر حبرًا من يهود خيبر وقرى عرينة وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد أول النهار باللسان دون اعتقاد واكفروا به آخر النهار، وقولوا إنا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدًا ليس بذلك وظهر لنا كذبه وبطلان دينه، فإذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينهم! وذهبوا إلى دينكم فأنزل الله تعالى هذه الآية وأخبرنا بها نبيه محمد ﷺ والمؤمنين[٢].

والآية الكريمة توضح مدى محاولات الخداع التي وصل إليها اليهود للمؤمنين وكيف أن الله سبحانه وتعالى يفضحهم دائمًا لكي لا ينخدع بهم المؤمنون.

يقول العلامة الشوكاني في تفسيره لهذه الآية:

وكيف أن الغرض من قولهم هو الخداع: هذا من كلام اليهود بعضهم لبعض أي قال الرؤساء للسفلة لا تصدقوا تصديقًا صحيحًا إلا لمن تبع دينكم من أهل الملة التي أنتم عليها وأما غيرهم ممن قد أسلم أظهروا لهم بذلك خداعًا[٣].

---

(١) تفسير المنار، أ/ رشيد رضا (١١/ ٣٢) باختصار وتصرف.

(٢) أسباب النزول للواحدي (ص٩٤).

(٣) فتح القدير للشوكاني (١/ ٤٣١) بتصرف واختصار.

يقول صاحب المنار تعليقًا على هذه الآية: هذا النوع الذي تحكيه الآية من صد اليهود عن الإسلام مبني على قاعدة طبيعية في البشر وهي أن من علامة الحق أن لا يرجع عنه من يعرفه.

وقد فقه هذا هرقل صاحب الروم فكان مما سأل عنه أبا سفيان من شئون النبي ﷺ عندما دعاه إلى الإسلام «هل يرجع عنه من دخل في دينه؟» قال أبو سفيان: «لا».

وقد أرادت هذه الطائفة أن تغش الناس من هذه الناحية ليقولوا لولا أن ظهر لهؤلاء بطلان الإسلام لما رجعوا عنه بعد أن دخلوا فيه واطلعوا على بواطنه وخوافيه إذا لا يعقل أن يترك الإنسان الحق بعد معرفته ويرغب عنه بعد الرغبة فيه بغير سبب[1].

وفي العصر الحالي يزاول أعداء الإسلام هذه الوسيلة مع المسلمين وإن اختلفت الأشكال وتطورت بتطور العصور، ومن أمثلة ذلك:

ما فعلته الولايات المتحدة من إغراء وخداع للعراق على خوض حربها مع إيران بهدف القضاء على قوة الدولتين العسكرية والاقتصادية، كما خدعت العراق بدخولها لغزو الكويت مما تسنى لأمريكا وغيرها من الدول الكبرى التدخل في المنطقة والسيطرة على القوى الطبيعية فيها وخاصة النفط وإضعاف اقتصاد الدول الإسلامية الأخرى القائمة على تصدير النفط.

والأخطر من ذلك خداع أعداء الإسلام للمسلمين بغزوهم الفكري لهم ومحاولتهم لتهميش الفكر الإسلامي وتمييع الشخصية المسلمة.

وهكذا يتبين استخدام أعداء الإسلام للخداع قديمًا وحديثًا كوسيلة من وسائل الحرب النفسية ضد المسلمين والتي لم يكن لها تأثير يذكر عند المؤمنين الأوائل؛ لما فيهم من صدق إيمان وصحة عقيدة، أما المسلمين اليوم فهم ينخدعون بمحاولات أعدائهم ويقعون في حبائلهم؛ لبعدهم عن منهج الله سبحانه الذي هو سبب عزتهم ورفعتهم.

---

(١) تفسير المنار (٣/ ٢٧٥).

منهج القرآن في مواجهة وسيلة الخداع:

ولقد واجه القرآن الكريم وسيلة الخداع حتى لا تؤثر في معنويات المؤمنين بعدة أمور منها:

أولاً: أنه أخبر النبي والمؤمنين بمخادعة أعدائهم لهم وأمرهم بأن يلجئوا إلى الله فهو حاميهم وكافيهم.

ثانيًا: أن الله سبحانه وتعالى واجههم بنفس الوسيلة.

أولاً: أنه أخبر النبي ﷺ باستخدام أعدائه للخداع وأمره بأن يلجأ إلى الله فهو حسبه وكافيه:

قال تعالى: ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٢] فلا تعبأ بهم ولا تكترث بهم فليس بعد تأييد الله سبحانه وتعالى بنصره وتأليفه بين قلوب المؤمنين ما يبقى أثر لخداع الأعداء ومكرهم.

يقول العلامة ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية: إن كانوا يريدون من إظهار ميلهم إلى المسالمة خديعة فإن الله كافيك شرهم.

فجملة ﴿ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ ﴾ دلت على تكفل كفايته وقد أريد منه أيضًا الكناية عن عدم معاملتهم بهذا الاحتمال وألا يتوجس منه خيفة وأن ذلك لا يضره، وجملة ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ ﴾ دليل على أنه حسبه، والمعنى أن الله قد نصرك من قبل وقد كنت يومئذ أضعف منك اليوم فنصرك على العدو هو مجاهر بعدوانه فنصره إياك عليهم مع مخاتلتهم ومع كونك في قوة من المؤمنين أولى وأقرب[1].

ثانيًا: استخدام القرآن الكريم معهم نفس الوسيلة:

قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [النساء: ١٤٢].

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور، الجزء العاشر (٦/ ٦٢) باختصار وتصرف.

وإن كانت الآية تدل على استخدام المنافقين لهذه والوسيلة فهم كانوا إحدى جبهات العداء للمسلمين والتي كانت تربطهم بالجبهات الأخرى اتحاد الهدف والوسيلة بمعنى أن الجبهات الأخرى قد استخدمت وسيلة الخداع فالقرآن يتوعدهم كما يتوعد المنافقين.

يقول العلامة الشوكاني في تفسيره: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ هذا كلام مبتدأ يتضمن بيان بعض قبائح المنافقين، ومخادعتهم لله هي أنهم يفعلون فعل المخادع من إظهار الإيمان وإبطان الكفر.

ومعنى كون الله خادعهم: أنه صنع بهم صنع من يخادع من خادعه وذلك أن تركهم على ما هم عليه من التظاهر بالإسلام في الدنيا فعصم به دماءهم وأموالهم، وأخر عقوبتهم إلى الدار الآخرة فجازاهم على خداعهم بالدرك الأسفل من النار.

والكسالى: جمع كسلان والمراد أنهم يصلون وهم متكاسلون متثاقلون لا يرجون ثوابًا ولا يخافون عقابًا، والرياء: هو إظهار الجميل ليراه الناس لا لاتباع أمر الله.

﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ أي لا يذكرونه سبحانه إلا قليلاً أو لا يصلون إلا قليلاً، ووصف الذكر بالقلة لعدم الإخلاص أو لكونه غير مقبول أو لكونه قليلاً في نفسه لأن الذي يفعل الطاعة لقصد الرياء إنما يفعلها في المجامع ولا يفعلها خاليًا كالمخلص[1].

والله عز وجل بين أنه ﴿ خَـٰدِعُهُمْ ﴾ أي مستدركهم وتاركهم في غيهم لا يقرعهم بمصيبة تنبههم ولا يوقظهم بقارعة تفتح عيونهم، تاركهم يمضون في طريق الهاوية حتى يسقطوا، وذلك هو خداع الله -سبحانه- لهم فالقوارع والمنح كثيرًا ما تكون رحمة من الله، تصيب البعاد فتردهم سريعًا عن الخطأ، أو تعلمهم ما لم يكونوا يعلمون وكثيرًا ما تكون العافية والنعمة استدراكًا من الله للمذنبين الغاوين لأنهم بلغوا من الإثم والغواية

(١) فتح القدير للشوكاني (١/ ٦٢١) باختصار وتصرف.

ما يستحقون معه أن يتركوا بلا قارعة ولا نذير، حتى ينتهوا إلى شر مصير[١].

ولقد استعمل النبي ﷺ هذه الوسيلة مع الأعداء وهي وسيلة الخداع، فالإسلام أجاز الخداع في الحرب فقط لتضليل العدو ما دام ذلك لم يشتمل على نقض عهد أو إخلال بأمان فالنبي ﷺ قال: «**الحرب خدعة**»[٢].

ومن مواقف النبي ﷺ في خداع الأعداء، عندما أراد أن يغزو خيبر أوهم غطفان وأوهم أحلاف يهود خيبر أنه يريدهم فشل حركتهم ولزموا أرضهم للدفاع عليها بدل أن يهبوا لنجدة أحلافهم اليهود، وأنزل في روعهم الرعب، ولقن اليهود درسًا في وجوب المحافظة على العهود وعدم الطعن في الحلف والغدر عند الشدة[٣].

ومن باب الخدعة والتمويه والتورية في الحرب يجوز الكذب لمغالطة العدو وإشاعة البلبلة والارتباك في معلوماته وتخطيطاته.

فعن أسماء بنت يزيد مرفوعًا: «**لا يحل الكذب إلا في ثلاث يحدث الرجل امرأته ليرضها، والكذب في الحرب، وفي الإصلاح بين الناس**»[٤].

وفي غزوة الأحزاب أمر نعيم بن مسعود بعد إسلامه أن يخذل ويخدع العدو بهذا الأسلوب فقال له: «**إنما أنت رجل واحد فلو خرجت خذلت لنا إن استطعت كان أحب إلينا من بقاءك معنا فاخرج إن الحرب خدعة**»، فخرج نعيم بن مسعود فخذل وخادع قريشًا وبني قريظة وغطفان ونجحت طريقته وتفرق الأحزاب وانتصر المسلمون.

فكان لمخادعته الأعداء الذين تحزبوا لحرب الرسول ﷺ والمسلمين أكبر الأثر في

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٢/ ٧٨٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد، باب الحرب خدعة (٤/ ٧٧).

(٣) دروس في الكتمان، لمحمود شيت خطاب (ص١٣٠)، ط/ دار الإرشاد، بيروت، طبعة أولى، ١٩٦٩م.

(٤) أخرجه الإمام مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم الكذب وبيان المباح منه (٤/ ٢٠١١).

إرهابهم وزرع عدم الثقة بينهم حتى اختلف أمرهم وفرق الله جمعهم وانتصر المسلمون عليهم[١].

ومن المواقف التي تجسد استخدام الصحابة للخداع في مواجهة أعدائهم أن عمر بن الخطاب ﷺ بعث عمرو بن العاص لقتال الروم وكان عليهم إرطبون وكان هذا الرجل يعرف بالدهاء والمخادعة وكان عمرو كلما أرسل له رسولاً يتجسس عليه رجع الرسول ولم يعرف شيئًا فتنكر عمرو وذهب إليه بنفسه، فدبر إرطبون لقتله، ولكن عمرو فطن الأمر، وقال لإرطبون: إن مثلي عشر مع عمرو لا يتصرف إلا بمشورتهم فدعني آتي لك بهم فأرسل إرطبون إلى الرجل الذي قد كان وكله بقتل عمرو ألا تفعل فاستطاع عمرو الفرار من قتل إرطبون له، ولما فر وعلم إرطبون إنه عمرو قال: خدعني الرجل هذا، والله إنه أدهى العرب[٢].

وهكذا كان القرآن الكريم وتصرفات النبي ﷺ وأصحابه أمضى سلاح في القضاء على خداع الأعداء ورد كيدهم في نحورهم وإبطال أثر خداعهم في نفوس المؤمنين.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١١٥، ١١٦) باختصار وتصرف.

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٥٤) باختصار وتصرف.

openkandil.com

سادسًا: إثارة الرعب:

وإثارة الرعب وسيلة من وسائل الأعداء في الحرب النفسية التي استخدمت كثيرًا ضد الصف المؤمن ممثلاً في الرسول ﷺ وأصحابه، استخدمت من جبهات العداء المختلفة من كفار ومنافقين وأهل كتاب.

والرعب هو الخوف والفزع، يقال: رعب رعبًا خاف وفزع وأرعب فلانًا فلانًا خوفه وأفزعه[١].

فوسيلة إثارة الرعب عبارة عن إيقاع الاضطراب والخلخلة وإلقاء الرعب في صفوف العدو وفي قلوب القادة والجنود والشعب أي في الجبهة الداخلية والجبهة المقاتلة معًا وذلك بوسائل كثيرة ومتنوعة تؤدي في النهاية إلى هدف واحد هو خلخلة صفوف العدو وإلقاء الرعب في قلوب أفراده لأن الرصاصة من يد الجبان لا تقتل ولا تصيب فإذا ألقى الرعب في قلوب الجندي فالسلاح في يده لا خوف منه بل إنه يعتبر غنيمة وهذا يبرز دور الحرب النفسية وأهميتها[٢].

ولقد كان لليهود والمشركين والمنافقين تأثير مشترك على الجبهة الإسلامية في غزوة الأحزاب محاولين إثارة الرعب في نفس المسلمين فاليهود والمشركون تآمروا واتفقوا على تحزيب الأحزاب من الخارج أما المنافقون فقد كانوا معول هدم داخلي في الصف المسلم.

ولقد وصف الله سبحانه وتعالى أثر ذلك التحزب على المسلمين بقوله: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٠-١٢].

والآية الكريمة خير وصف لمدى الحالة التي لحقت المسلمين نتيجة تحزب الأحزاب

---

(١) المعجم الوجيز، مادة رعب (ص٢٦٨).

(٢) الحرب النفسية في العصر المدني (ص٤٢٧) باختصار، مرجع سابق.

من الداخل ومن الخارج ضدهم فالأبصار زائغة من شدة الحيرة والقلوب بلغت الحناجر من شدة الخوف والرعب وكان الابتلاء شديدًا أظهر المؤمن الحق من المنافق فثبت المؤمن على إيمانه وقال المنافق ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا.

يقول العلامة البيضاوي في تصوير الآية لزيغ الأبصار وبلوغ القلوب الحناجر: ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَارُ﴾ مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصًا ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ رعبًا فإن الرئة تنتفخ من شدة الروع فيرتفع القلب بارتفاعها إلى رأس الحنجرة وهي منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب[1].

يقول العلامة أبو السعود عند تفسيره لهذه الآية: ﴿ هُنَالِكَ﴾ ظرف زمان أو ظرف مكان لما بعده أي في ذلك الزمان الهائل أو المكان الدحض.

﴿ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ عوملوا معاملة من يختبر فظهر المخلص من المنافق والراسخ من المتزلزل، ﴿ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالاً شَدِيدًا ﴾ من الهول والفزع ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ ﴾ عطف على ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ﴾ وصيغة المضارع للدلالة على استمرار القول واستحضار صورته.

﴿ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي في قلوبهم ضعف اعتقاد ﴿ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ ﴾ من إعلاء الدين والظفر ﴿ إِلَّا غُرُورًا ﴾ وعد غرور، وقيل قولاً باطلاً والقائل: معتب بن قشير، وأضرابه راضون به، قال يعدنا محمد بفتح كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقًا[2] ما هذا إلا وعد غرور[3].

فالآية الكريمة تجسد صورة الهول الذي روع المدينة والكرب الذي شملها والذي لم

---

(١) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (٢/ ٢٤٠).

(٢) كناية عن شدة خوفهم وفزعهم.

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم، لأبي السعود (٤/ ٣١١)، وانظر: البداية والنهاية (٤/ ١٥٠) باختصار وتصرف.

ينج منه أحد من أهلها وقد أطبق عليها المشركون من قريش وغطفان واليهود من بني قريظة من كل جانب من أعلاها ومن أسفلها فلم يختلف الشعور بالكرب والهول في قلب عن قلب وإنما الذي اختلف هو استجابة تلك القلوب وظنها بالله وسلوكها في الشدة وتصوراتها للقيم والأسباب والنتائج، ومن ثم كان الابتلاء كاملاً والامتحان دقيقًا والتمييز بين المؤمنين والمنافقين حاسمًا لا تردد فيه[١].

وما زال أعداء الإسلام يستخدمون وسيلة من إثارة الرعب وبكل شراسة كوسيلة من وسائل الحرب النفسية ضد المسلمين في هذا العصر ولكن بصورة أكثر تطورًا من ذلك تسجيلات الرعب التي استخدمها اليهود لإجبار أهل فلسطين على الرحيل عنها وقد تضمنت هذه التسجيلات الصراخ والعويل والأنين المكروب للمسلمات وزعيق صفارات الإنذار ورنين أجراس سيارات الإطفاء وغير ذلك[٢].

هذا وتطالعنا الأخبار اليومية بسيناريوهات متكررة للتهويل والتعظيم من شأن قوة أعداء الإسلام وإبراز إيجابياتهم والتهوين من شأن قوة المسلمين وإبراز لبياتها، وما ذلك إلا لإحداث الانهزام النفسي في نفوس المسلمين وإثارة الرعب فيما بينهم إذ ذكر أعداؤهم.

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (٥/ ٢٨٣٧) باختصار وتصرف.

(٢) الإرهاب والعنف في الفكر الصهيوني، لإسماعيل ياغي، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، والرياض، (ص٩٢-٩٧).

منهج القرآن في مواجهة وسيلة إثارة الرعب:

من الوسائل التي استخدمها الأعداء ورد عليها القرآن حتى لم يعد لها أثر في نفوس المؤمنين وقد واجه القرآن الكريم هذه الوسيلة في عدة خطوات:

أولاً: دعا القرآن الكريم أتباعه بالتحصن من أي قوة بالصبر والمصابرة وتقوى الله.

ثانيًا: وضح للمؤمنين حقيقة أعدائهم وأنهم منهزمون داخليًا فهم أوهن من أن يهابوا.

ثالثًا: أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بإعداد القوة لأعدائهم حتى يكونوا مرهوبين الجانب.

رابعًا: استخدم الله سبحانه نفس الوسيلة في مواجهة الأعداء.

أولاً: دعا القرآن الكريم أتباعه بالتحصن من أي قوة بالصبر والمصابرة وتقوى الله.

لقد دعا القرآن المؤمنين بالتحصن من أي قوة بالصبر والمصابرة وتقوى الله تعالى فإنها عدة النصر على الأعداء، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] أي اصبروا على ما يلحقكم من الأذى وصابروا الأعداء الذين يقاومونكم ليغلبوكم على أمركم ويخذلون الحق الذي في أيديكم ورابطوا الخيل كما يرابطونها استعدادًا للجهاد[1] فعليكم أيها المؤمنون أن تحققوا في أنفسكم الصبر والمصابرة والرباط وتقوى الله إن أردتم أن تكونوا من المفلحين.

ثانيًا: وضح القرآن للمؤمنين حقيقة أعدائهم وأنهم منهزمون داخليًا فهم أوهن من أن يهابوا:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾ [المنافقون: ٤].

---

(١) تفسير المنار (٤/ ٢٥٨).

يقول العلامة الألوسي عند تفسيره لهذه الآية: ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ أي واقعة عليهم ضارة لهم لجبنهم وهلعهم فهم كانوا كما قال مقاتل متى سمعوا بنشدان ضالة أو صياحًا بأي وجه كان طارت عقولهم وظنوا ذلك إيقاعًا بهم[(١)].

فهم لضعف نفوسهم يحسبون كل صيحة عليهم فهل من كانت هذه حالهم يستحقون أن يرهبهم المؤمنون.

ومن الآيات الدالة على خور قلوبهم وسوء فهمهم قوله تعالى: ﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ [الحشر: ١٣].

فهم الذين يهابون المؤمنين من داخلهم ولكنهم يتظاهرون بالقوة ليرهبوا المؤمنين ففضح الله أمرهم ليجعل المؤمنين لا يكترثون بهم.

﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً ﴾ أي أشد مرهوبية على أن ﴿ رَهْبَةً ﴾ مصدر من المبني للمفعول لأن المخاطبين وهم المؤمنين مرهوب منهم لا راهبون.

﴿ فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ﴾ أي رهبتهم منكم في السر أشد مما يظهرونه لكم من رهبة الله عز وجل ويجوز أن يراد أنهم يخافونكم في صدورهم أشد من خوفهم من الله تعالى.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ لا يعلمون شيئًا عن عظمة الله عز وجل فيخشونه حق خشيته سبحانه وتعالى والمراد بهؤلاء قيل اليهود وقيل المنافقون وقيل الفريقان[(٢)].

ثالثًا: أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بإعداد القوة لأعدائهم حتى يكونوا مرهوبي الجانب:

ففي إعداد القوة إرهاب للأعداء وتخويف لهم وإلقاء الرعب في قلوبهم، قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي

(١) روح المعاني للألوسي، الجزء الثامن والعشرون (١٥/ ١٦٤).

(٢) روح المعاني للألوسي، الجزء الثامن والعشرون (١٥/ ٨٢، ٨٣) باختصار وتصرف.

سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٠].

فإعداد القوة ترهب جانب المؤمنين في نفوس أعدائهم وترعبهم كما أنها تهون من أي محاولة للأعداء في إثارة الرعب في نفوس المؤمنين.

والإرهاب جعل الغير راهبًا أي خائفًا فإن العدو إذا علم استعداد عدوه لقتاله خافه ولم يجرؤ عليه فكان ذلك هناء للمسلمين وأمنًا من أن يغزوهم أعداءهم(١).

رابعًا: استخدام القرآن الكريم نفس الوسيلة في مواجهة الأعداء:

وإذا كان الأعداء يستخدمون هذه الوسيلة فإن الله سبحانه وتعالى استخدم معهم هذه الوسيلة أيضًا لكن هناك فرق كبير بين قذف الرعب من الله في قلوب الأعداء وبين محاولة الأعداء استخدامهم لهذه الوسيلة قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ [الحشر: ٢].

يقول العلامة الشوكاني عند تفسيره لهذه الآية: ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ ﴾ فإن قذف الرعب كان في قلوب بني النضير والرعب هو الخوف الذي يرعب الصدر أي يملؤه، وقذفه إثباته فيه(٢).

والمراد بالرعب الذي قذفه الله في قلوبهم والذي ثبت في الصحيح من قوله ﷺ: «**نصرت بالرعب مسيرة شهر**»(٣).

لقد آتاهم الله عز وجل من داخل أنفسهم لا من داخل حصونهم آتاهم من قلوبهم

---

(١) التحرير والتنوير، الجزء العاشر (٦/ ٥٦).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٥/ ١٩٣) باختصار وتصرف.

(٣) أخرجه الإمام البخاري، كتاب الجهاد، باب قول النبي ﷺ نصرت بالرعب مسيرة شهر (٤/ ٦٥).

فقذف فيها الرعب ففتح حصونهم بأيديهم وأراهم أنهم لا يملكون ذواتهم ولا يحكمون قلوبهم، ولا يمتنعون على الله بإرادتهم وتصميمهم فضلاً على أن يمتنعوا عليه ببنيانهم وحصونهم[1].

وهكذا لم يعد لأعداء الإسلام داخل نفوس المؤمنين الصادقين أية قيمة يرهبون من أجلها إن هم عاشوا معاني القرآن وعايشوها.

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (٦/ ٣٥٢١) بتصرف.

obeikandl.com

سابعًا: النفي الإبعاد:

ومن وسائل الأعداء في الحرب النفسية التي استخدموها ضد الرسول ﷺ والمسلمين وسيلة النفي والإبعاد ولا شك أن هذه الوسيلة لها من الأثر الكبير على نفس المنفي ومعنوياته مما قد لا يحدث هذا الأثر خوض المعارك الجسام فإيلام النفس أقوى من إيلام الجسد.

والنفي في اللغة: من نفى الشيء نفيًا نحاه وأبعده، والمنفي مكان النفي[1].

وليس معنى النفي والإبعاد انتقال موظف من بلد قريب إلى بلد ناء ولا ارتحال طالب قوت من أرض مجدبة إلى أرض مخصبة إنما هو إكراه رجل آمن في سربه ممتد الجذور في مكانه على إهدار مصالحه والنجاة بشخصه فحسب، مع إشعاره وهو يصفي مركزه بأنه مستباح منهوب وقد يهلك في أوائل الطريق أو نهايتها وبأنه يسير نحو مستقبل مبهم لا يدري ما يتمخض عنه من قلاقل وأحزان[2].

وقد دلت آيات القرآن الكريم على ممارسة الأعداء لهذه الوسيلة من وسائل الحرب النفسية ضد الرسول ﷺ ذاته ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٤٠].

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ ﴾ تحذير للمؤمنين وتبيين لهم أنهم إن تخلوا عن الرسول ﷺ ونصرته فقد نصره الله وليس معه سوى أبا بكر وحده.

﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ من مكة حين مكروا به وأرادوا إخراجه وهموا

---

(١) المعجم الوجيز، مادة نفى (ص٦٢٩).

(٢) فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي (ص١٦٦) بتصرف.

بقتله[١].

يقول العلامة القرطبي: ﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ وهو خرج بنفسه فارًا لكن بإلجائهم إلى ذلك حتى فعله فنسب الفعل إليهم ورتب الحكم فيه عليهم[٢].

ومن الآيات الدالة على ذلك أيضًا قول الله عز وجل: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠].

يقول الشيخ رشيد رضا عند تفسيره لهذه الآية: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ أي واذكر أيها الرسول في نفسك ما نقصه في الكتاب على المؤمنين والكافرين في عهدك ومن بعدك لأنها حجة لك على صدق دعوتك، ووعد ربك بنصرك اذكر ذلك الزمن القريب الذي يمكر بك الذين كفروا من قومك في وطنك بما يدبرون فيما بينهم بالسر من وسائل الإيقاع بك.

﴿ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ ﴾ فأما الإثبات فالمراد به الشد بالوثاق والإرهاق بالقيد والحبس المانع من لقاء الناس، ودعوتهم إلى الإسلام، وأما القتل فالمكر فيه طريقته وصفته الممكنة التي لا يكون ضررها فيهم عظيمًا، وأما الإخراج فهو النفي من الوطن[٣].

وأسند الإخراج إلى ضمير العدو كلهم لأن جميعهم كانوا راضين بما يصدر من بعضهم من أذى المسلمين وربما أغروا به سفهاءهم[٤].

﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ عبر بالمضارع لما فيه من معنى الاستمرار أي ليس الأمر قاصر على عهد النبي ﷺ فقط بل هو ديدن أعداء الحق ضد

---

(١) معالم التنزيل للبغوي (٢/ ٢٩٢) باختصار وتصرف.
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/ ٢٩٨٣).
(٣) تفسير المنار، أ/ رشيد رضا (٩/ ٥٤٢، ٥٤٣).
(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٣/ ١٣٥).

أتباع الحق في كل زمان ومكان ولكن الله سبحانه كما أبطل مكرهم ضد رسوله الكريم ﷺ من قبل ورد كيدهم في نحورهم فهو يبطل مكرهم ضد عبادة الصالحين في كل زمان ومكان.

يقول أ/ رشيد رضا: فهو بيان لحالتهم العامة الدائمة في معاملته ﷺ هو ومن اتبعه من المؤمنين بعد التذكير بشر ما كان منها بمكة ولذلك لم يقل ويمكرون «بك» أي وهكذا دأبهم معك ومع من اتبعك وكما أحبط الله مكرهم معك فسيحبطه مع من اتبعك[1].

ومن أمثلة السيرة النبوية التي تتحدث عن ذلك:

أن المشركين قد استخدموا شتى الوسائل لإبعاد المسلمين عن أوطانهم وعن دينهم ففي أواسط السنة الرابعة من النبوة، بدأت الاضطهادات ضد المسلمين في مكة ضعيفة، ثم لم تزل يومًا فيومًا وشهرًا فشهرًا حتى اشتدت وتفاقمت في أواسط السنة الخامسة حتى ضاق بهم المقام في مكة، وأوعزتهم أن يفكروا في حيلة تنجيهم من هذا العذاب الأليم، وفي هذه الساعة الضنكة الحالكة نزلت سورة الكهف، ردودًا على أسئلة أدلى بها المشركون إلى النبي ﷺ ولكنها اشتملت على ثلاث قصص، منها إشارات بليغة من الله إلى عباده المؤمنين، فقصة أصحاب الكهف ترشد إلى الهجرة من مراكز الكفر والعدوان حين مخافة الفتنة على الدين متوكلاً على الله.

فكانت الهجرة إلى الحبشة الأولى وإن شئت فقل الطرد والإبعاد إلى الحبشة لأن أهل مكة هم الذين أرغموا المسلمين على ترك أموالهم والفرار بدينهم.

ثم كانت الهجرة الثانية إلى الحبشة لنفس الأسباب فلقد اشتد على المسلمين البلاء والعذاب من قريش، وسطت بهم عشائرهم، وأذاقوهم سوء العذاب، فكانت الهجرة

---

(١) تفسير المنار، أ/ رشيد رضا (٩/ ٥٤٣) باختصار وتصرف.

الثانية إلى الحبشة وكانت أشد من الأولى في التعب لأن قريشًا كانت قد تيقظت لذلك[١].

وهكذا أرغمت سياسة أعداء الإسلام المضطهدة للمسلمين على ترك أوطانهم وأموالهم وإبعادهم عنها مرتين للحبشة فرارًا بدينهم كما كان لها الأثر الكبير في هجرة الرسول ﷺ وصحابته إلى المدينة.

ولما لوسيلة النفي والإبعاد من أثر عظيم فقد حرص أعداء الإسلام أن يذيقوها للمسلمين على مر العصور ومن ذلك:

أنه في مصر أسندت رياسة الحكومة المصرية إلى رجلين من النصارى نوبار باشا، وبطرس غالي باشا فالأول مكن للأجانب ورسخ امتيازاتهم على حساب أهل مصر، والثاني سلم السودان للإنجليز وعمل على مد امتياز قناة السويس ومضى في سياسة ملأ الوظائف بالنصارى دون المسلمين[٢].

كذلك في فلسطين: نفى اليهود مليون ونصف فلسطيني من أرضهم لكي يتسنى لليهود امتلاك ٩٣٪ من مساحة فلسطين بعد ما كانوا لا يملكون سوى ٦.٥٪[٣].

وفي غرناطة: بعد استيلاء الصليبيين عليها أصدر الملك فرديناد سنة ١٥٠١م ثم أمرًا بحظر وجود المسلمين في غرناطة فإذا كان بها بعضهم يحظر عليهم أن يتصلوا بغيرهم من المسلمين خوفًا من أن يتأخر تنصيرهم أو بأولئك الذين نصروا لئلا يفسد إيمانهم ويعاقب المخالفون بالموت أو مصادرة الأموال ثم أصدر تشريعًا يلزم المسلمين بالسكن في أحياء خاصة بهم[٤].

وهكذا وبعد الاستعراض للصور الماضية والصور المعاصرة لاستخدام أعداء

---

(١) الرحيق المختوم (ص١١٠) باختصار وتصرف.

(٢) التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، لمحمد الغزالي (ص٣٥٥).

(٣) الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية لرجاء جارودي (ص١٦٠، ١٦٣).

(٤) انظر: انتشار الإسلام وقائع وملاحظات لعماد الدين خليل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، الرياض، (ص٦٢).

الإسلام لوسيلة النفي والإبعاد ضد المسلمين يظهر لنا جليًا، واضحًا إعجاز القرآن الكريم في إخباره بالغيب في قوله تعالى: ﴿ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ ﴾ فمكرهم مستمر على اختلاف الأمكنة والأزمنة استمرار جبهتي الحق والباطل ولكن رد الله سبحانه وتعالى لمكرهم في نحورهم مستمر أيضًا.

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

obeikandl.com

منهج القرآن الكريم في الرد على وسيلة النفي والإبعاد:

لقد كان استخدام الأعداء لوسيلة النفي والإبعاد له من الأثر الكبير على نفوس المسلمين لولا أن الله عز وجل وضع لهم منهجًا فأصبح لا قيمة له في نفوسهم وبذلك فشلت خطة الأعداء من النيل من معنويات المؤمنين ولقد تركزت خطوات القرآن للوقاية من هذه الوسيلة فيما يلي:

أولاً: بين القرآن الكريم أن الله مع الفئة المؤمنة وأنه ناصرها فلا أثر لنفي أعدائها لها على نفوسها.

ثانيًا: وعد الله سبحانه وتعالى في آيات القرآن من أخرجوا في سبيله بالعطاء الجزيل.

ثالثًا: إن القرآن الكريم قد هدد أعداءه باستخدام نفس الوسيلة إن هم استمروا على استخدامها.

أولاً: بين القرآن الكريم أن الله مع الفئة المؤمنة وأنه ناصرها فلا أثر لنفي أعدائها لها على نفوسها:

ومن الآيات القرآنية التي توضح أن الله مع الفئة المؤمنة التي تمارس وسيلة النفي ضدها قول الله عز وجل: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠] فالله سبحانه وتعالى هو المتعهد بنصرتك والرد على مكرهم فلا تبتئس بهم.

كذلك قول الله عز وجل: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٤٠].

أي إن تركتم نصره فالله متكفل به فقد نصره قبل ذلك في موضع القلة ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ ﴾ أي دع الحزن فإن الله بنصره وعونه وتأييده معنا ومن كان الله معه فلن

يغلب[١].

ثانيًا: وعد الله سبحانه وتعالى في آيات القرآن من أخرجوا في سبيله بالعطاء الجزيل:

ولقد وعد الله سبحانه من أخرجوا في سبيله بالعطاء الجزيل قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَـٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ ﴾ أي إلى طلبهم، ﴿ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال ﴿ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ ﴾ هجروا الشرك أو الأوطان والعشائر للدين ﴿ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي ﴾ بسبب إيمانهم بالله ومن أجله ﴿ وَقَـٰتَلُواْ ﴾ الكفار، ﴿ وَقُتِلُواْ ﴾ في الجهاد أو قتل منهم قوم وقاتل الباقون ولم يضعفوا ﴿ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ﴾ لأمحونها ﴿ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ أي أثيبهم بذلك إثابة من عند الله وتفضلاً ﴿ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾[٢].

ثالثًا: إن القرآن الكريم قد هدد أعداءه باستخدام نفس الوسيلة إن هم استمروا على استخدامها:

وقد هدد الله سبحانه وتعالى من يستخدمون هذه الوسيلة ضد الرسول ﷺ والمؤمنين بأنه سيستخدمها معهم إن هم استمروا عليها كما استخدمها مع الأمم السابقة قال تعالى: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَـٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٦-٧٧].

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٣٨١) باختصار.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (١/ ١٩٦، ١٩٧) باختصار وتصرف.

فهم إن أخرجوك فسوف يخرجهم الله كما أخرج من فعل ذلك مع أنبيائه السابقين فهي سنة الله لن تتبدل.

ولقد امتن الله سبحانه على نبيه وعلى المؤمنين باستخدامه للنفي لأعدائهم من بني النضير وهو ما ذكره القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ [الحشر: ٢].

قال ابن كثير: كان رسول الله ﷺ لما قدم المدينة هادنهم وأعطاهم عهدًا وذمة على ألا يقاتلهم ولا يقاتلوه فنقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه فأحل الله بأسه الذي لا يرد وأنزل عليهم قضاءه الذي لا يصد فأجلاهم النبي ﷺ وأخرجهم من حصونهم الحصينة التي ما طمع فيها المسلمون وظنوا هم أنها مانعتهم من بأس الله فما أغنى عنهم من الله شيئًا وجاءهم من الله ما لم يكن ببالهم وسيرهم رسول الله ﷺ وأجلاهم من المدينة فكان منهم طائفة ذهبوا إلى أزرعات من أعالي الشام وهي أرض المحشر والمنشر ومنهم طائفة ذهبوا إلى خيبر[(١)].

فالله سبحانه هو الذي أخرجهم وهو القادر على هزيمتهم، وهزيمتهم النفسية أعظم لإخراجهم من ديارهم صاغرين مرعوبين.

وهكذا واجه القرآن الكريم وسيلة النفي والإبعاد فلم يعد لها أثر على نفوس المسلمين.

---

(١) تفسير القرآن الكريم لابن كثير (٤/ ٣٣٠)، وانظر: البداية والنهاية (٤/ ٧٤، ٨٠) باختصار وتصرف.

ثامنًا: تحطيم الروح المعنوية:

وسيلة تحطيم الروح المعنوية:

إن الروح المعنوية من أهم العوامل التي تؤدي إلى النصر أو الهزيمة فالعامل النفسي يترتب عليه الروح والهمة والعزيمة التي إن كانت على درجة عالية كان الأداء على درجة عالية.

ولقد فطن أعداء الإسلام إلى هذا العامل من أول لحظة فأخذوا يستغلونه لصالحهم وضد الإسلام ورسوله وأتباعه، ولقد حكى القرآن الكريم مواقف كلاً من المشركين والمنافقين وأهل الكتاب في تحطيم الروح المعنوية لدى المسلمين.

ومن هذه المواقف التي حدثت من المشركين:

ما حاوله المشركون من زعزعة نفوس المسلمين وبلبلتهم وتحطيم معنوياتهم بعد سرية عبد الله بن جحش إلى نخلة فأذاع المشركون أن محمد وأصحابه استحلوا الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الأموال وأسروا فيه الرجال، مما كان له أكبر الأثر في نفوس أصحاب النبي ﷺ حتى نزل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

يقول الإمام الواحدي في سبب نزول هذه الآية: بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش ومعه نفر من المهاجرين فقتل عبد الله بن واقد الليثي عمرو بن الحضرمي في آخر يوم من رجب وأسروا رجلين واستلقوا العير فوقف على ذلك النبي ﷺ وقال: «**لم آمركم بالقتال في الشهر الحرام**» فقالت قريش: استحل محمد الشهر الحرام، فنزلت: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ

عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾[١].

ويقول صاحب تفسير الكشاف أن ما حدث من قتل وأسر إنما كان في أول يوم من رجب وقد ظن عبد الله بن جحش وأصحابه أنه كان آخر يوم من جمادي الآخر فإنما فعلوا ما فعلوا لا استحلالاً منهم للشهر الحرام وإنما بناء على الظن[٢].

والآية الكريمة توضح أنه وإن كان القتال في الشهر الحرام كبيرًا إلا أن القتال داخل الحرم وإخراج أهله والمراد بهم النبي ﷺ وأصحابه منه اكبر عند الله سبحانه وتعالى وأن الفتنة أكبر من القتل: وقد فسر العلامة الشوكاني الفتنة: بأنها الكفر أي كفركم أكبر من القتل الواقع من السرية التي بعثها النبي ﷺ وقيل الفتنة الإخراج لأهل الحرم منه وقيل فتنة المستضعفين من المؤمنين عن دينهم، وقيل: أو نفس الفتنة التي عليها الكفار[٣].

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ ﴾ فالعلة من قتالهم هو ارتدادكم عن دينكم فهو الحقد الدفين الذي يضمرونه لكم لأنكم مسلمون مستمسكون بالطريق المستقيم وهو الحقد الدفين الذي تطوى عليه قلوب أعداء المسلمين في كل عصر ومصر، وفي التعبير بقوله تعالى: ﴿ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ ﴾ إفادة للشك في استطاعتهم.

يقول أ/ رشيد رضا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ ﴾ يفيد الشك في استطاعتهم وعدم الثقة بها لأن من عرف الإسلام معرفة صحيحة، وهو الحق الصريح، لا يرجع عنه إلى الكفر، وهو الباطل المفضوح، وهكذا كان وهكذا يكون فلا يزال الكفار يقاتلوننا ليردونا عن ديننا إن استطاعوا، ولم يستطيعوا[٤].

ثم تخبرنا الآية الكريمة أن من ارتد عن دينه ومات وهو على الكفر حرم جزاء أعماله

---

(١) أسباب النزول للإمام الواحدي (ص٦١، ٦٢) باختصار وتصرف.
(٢) تفسير الكشاف للزمخشري (١/ ٣٥٦) بتصرف.
(٣) فتح القدير للشوكاني (١/ ٢٨٧) بتصرف.
(٤) تفسير المنار (٢/ ٢٥٦) باختصار وتصرف.

الصالحة وهو في الآخرة من أصحاب النار مخلدًا فيها.

يقول العلامة ابن عاشور عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ﴾ وحبط الأعمال زوال آثارها المجعولة مرتبة عليها شرعًا فيشمل آثارها في الدنيا والثواب في الآخرة وهو سر قوله: ﴿ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ﴾ (١).

وهكذا أفسدت الآية الكريمة خطة المشركين للنيل من معنويات المسلمين وبينت أن الجرم الحقيقي هو حرب المؤمنين وفتنتهم وإخراجهم من أرضهم.

أما المنافقون فكانوا ذوي الباع الطويل في استخدامهم لوسيلة تحطيم المعنويات لدى المسلمين ولما لا وهم قوم مرضى القلوب وضعاف النفوس جرثومة في المجتمع تحاول أن تضعف كل من يقترب إليها ولكن هيهات لهم أن ينالوا من أقوام قويت قلوبهم بمعرفة الله وقويت أجسادهم بطاعته والعمل في سبيله، ومن مواقف المنافقين هذه ما حولوه في غزوة تبوك من النيل من معنويات المسلمين وتثبيط عزيمتهم في الخروج للغزوة، فقالوا: لا تنفروا في الحر، واستعظموا للمسلمين مشقة الطريق ومرارته وقوة الروم، فنزلت آيات كريمة تبين ما قالوه وترد عليهم ردًا دامغًا يخزيهم ويرد كيدهم في نحورهم هذه الآية هي قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [التوبة: ٨١-٨٢].

فنتيجة مكرهم وتثبيطهم من همم المسلمين وتخلفهم عن رسول الله هو البكاء الكثير نتيجة لشدة ما يلاقونه يوم القيامة جزاء كسبهم.

يقول العلامة الشوكاني في معنى ﴿ ٱلْمُخَلَّفُونَ ﴾ المخلفون: المتروكون وهم الذين استأذنوا رسول الله ﷺ من المنافقين فأذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك.

---

(١) التحرير والتنوير للعلامة ابن عاشور الجزء الثاني (٢/ ٣٣٢).

﴿ بِمَقۡعَدِهِمۡ ﴾ أي بقعودهم ﴿ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾ أي خلفه أو مخالفة له[١]، ﴿ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ إيثارًا للدعة والخفض على طاعة الله، وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل رضاه ببذل الأموال والمهج[٢].

ثم توضح الآية ما قاله المنافقون للمؤمنين لتثبيط هممهم ومعنوياتهم بقوله تعالى: ﴿ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ ﴾.

يقول العلامة الشوكاني أي قال المنافقون لإخوانهم هذه المقالة تثبيطًا لهم كسرًا لنشاطهم وتواصيًا بينهم بالمخالفة لأمر الله ورسوله[٣].

أو أنهم قال بعضهم لبعض ذلك أو قالوه للمؤمنين تثبيطًا[٤].

ثم يأمر الله سبحانه رسوله الكريم بأن يخبرهم بأن نار جهنم أشد حرًا فحرارتها شديدة وعذابها مستديم فلو كان لديهم عقل لفطنوا إلى ذلك وما خالفوا أوامر رسول الله وما قعدوا عن الجهاد، ثم تخبر الآية الكريمة أن مصيرهم الضحك القليل والبكاء الكثير بكاء في الدنيا بعد افتضاح أمرهم وبكاء في الآخرة جزاءًا وفاقًا لما كسبوه.

يقول الشيخ رشيد رضا: فليكونوا بقدرتنا وتقديرنا قليلي الضحك كثيري البكاء، لأن سبب سرورهم بتخلفهم وقعودهم زال وأعقبهم الفضيحة والنكال[٥].

يقول أ/ سيد قطب تعليقًا على موقف المنافقين هذا وكيف أن ثقله الحرص على الراحة وضعف الهمة أدركتهم فقال: إن هؤلاء لهم نموذج لضعف الهمة وطراوة الإرادة وكثيرا هم الذين يشفقون من المتاعب، وينفرون من الجهد، ويؤثرون الراحة الرخيصة على الكدح الكريم، ويفضلون السلامة الذليلة على الخطر العزيز، وهم يتساقطون إعياء

(١) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٤٠٦) باختصار وتصرف.
(٢) تفسير الطبري (١/ ٤١٥) باختصار وتصرف.
(٣) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٤٠٦).
(٤) تفسير الطبري (١/ ٤١٥) باختصار وتصرف.
(٥) تفسير المنار (١٠/ ٤٩٥) باختصار وتصرف.

خلف الصفوف الجادة الزاحفة العارفة بتكاليف الدعوات، ولكن هذه الصفوف تظل في طريقها المملوء بالعقبات والأشواك؛ لأنها تدرك بفطرتها أن كفاح العقبات والأشواك فطرة في الإنسان، وأنه ألذ وأجمل من القعود والتخلف والراحة البليدة التي لا تليق بالرجال(١).

أما اليهود فقد كان استخدامهم لوسيلة تحطيم المعنويات ضد الرسول الكريم ﷺ وصحبه بكل شراسة فما من فرصة سنحت لهم إلا واستغلوها من خلال تشكيك المسلمين في أمرهم وإذاعة البلبلة فيما بينهم فتضعف معنوياتهم ومن ذلك ما حاولوا إثارته أثناء تغيير القبلة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام ومن ذاك قولهم للرسول ﷺ من بعد نصر الله له في بدر: يا محمد لا يغرنك من نفسك أن قتلت نفرًا من قريش كانوا أغمارًا لا يعرفون القتال إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس وأن لم تلق مثلنا(٢).

كل ذلك بهدف النيل من معنويات الصف المؤمن ومن الآيات التي توضح تشكيك اليهود للمؤمنين في أمور دينهم بهدف النيل من معنوياتهم قول الله عز وجل: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [البقرة: ١٤٢].

يقول الإمام الواحدي في سبب نزول هذه الآية: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا وكان رسول الله ﷺ يحب أن يوجه نحو الكعبة فأنزل الله تعالى: ﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٤] إلى آخر الآية فقال السفهاء من الناس وهم اليهود: ﴿ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ ﴾.

---

(١) في ظلال القرآن، أ/ سيد قطب (٣/ ١٦٨٢).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٩٤) باختصار.

قال الله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ ﴾ إلى آخر الآية[١].

والسفهاء: هم اليهود أو المنافقون أو المشركون وإن كان الإمام الواحدي ذكر أنهم هم اليهود.

ويفسر الإمام القرطبي السفهاء فيقول: السفهاء جمع واحده سفيه وهو الخفيف العقل من قولهم ثوب سفيه أي خفيف النسج[٢].

وهؤلاء السفهاء من اليهود قصدوا من استفهامهم عن تحويل القبلة التعريض بالمؤمنين والتشكيك لهم فهم قوم جبناء النفوس مرضى القلوب.

يقول العلامة ابن عاشور: والاستفهام في قوله: ﴿ مَا وَلَّىٰهُمۡ ﴾ مستعمل في التعريض بالتخطئة واضطراب العقل[٣].

ثم تأتي الآية الكريمة تدحض شكوك السفهاء وتبين لهم سوء فهمهم فالكون كله لله والخلق كله لله يوجهه كيف يشاء في ملكه حتى وإن وجهه في اليوم الواحد لأكثر من جهة والذي يفطن إلى هذه المسألة فقد هداه الله إلى صراطه المستقيم.

يقول أ/ رشيد رضا تعليقًا على هذه الآية: فاعلم أن نسبة الجهات كلها إلى الله واحدة وإن العبرة في التوجه إليه سبحانه بالقلوب واتباع وحيه في توجه الوجوه[٤].

وهكذا استخدم اليهود وسيلة تحطيم المعنويات كوسيلة من وسائل الحرب النفسية ضد الرسول ﷺ ولقد تولى القرآن الكريم محاربتهم والرد عليهم كما حارب إخوانهم من أعداء المسلمين من كفار ومنافقين.

﴿ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠].

---

(١) أسباب النزول للإمام الواحدي (ص٤٢) باختصار وتصرف.
(٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي (١/ ٥٣١) باختصار.
(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور الجزء الثاني (٢/ ٨).
(٤) تفسير المنار (٢/ ٤).

openkandil.com

منهج القرآن الكريم في الرد على وسيلة تحطيم المعنويات:

ومن الوسائل التي استخدمها أعداء الإسلام والتي رد عليها القرآن بعدما كشفها وبين حقيقة أمرها وحصن المسلمين ووقاهم منها وسيلة تحطيم المعنويات ويمكن تلخيص منهج القرآن في مواجهة وسيلة تحطيم المعنويات في العناصر التالية:

أولاً: أنه أورد محاولات أعداء الإسلام لتحطيم معنويات المسلمين ورد عليهم.

ثانيًا: أمر المؤمنين بالثبات وعدم الالتفات لما يحاوله أعداءهم من النيل من روحهم المعنوية.

ثالثًا: وعد هؤلاء الراسخين الذين لا يلتفتون لأي محاولة للتثبيط بالجزاء العظيم.

رابعًا: استعمل القرآن الكريم نفس الوسيلة ضد الأعداء.

أولاً: أورد محاولات أعداء الإسلام لتحطيم معنويات المسلمين ورد عليها:

ولقد أورد القرآن الكريم محاولات أعداء الإسلام لتحطيم معنويات المؤمنين ورد عليهم حتى لم يعد لها أثر في نفس المؤمنين.

ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٦٨].

﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ﴾ منصوب على الذم أو الوصف للذين نافقوا ﴿ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ ﴾ أي لأجلهم يريد من قتل يوم أحد من أقاربهم أو من جنسهم ﴿ وَقَعَدُواْ ﴾ حال مقدرة أي: قالوا قاعدين عن القتال ﴿ لَوۡ أَطَاعُونَا ﴾ في القعود بالمدينة ما قتلوا كما لم نقتل.

فهذه هي محاولتهم لتثبيط المؤمنين وتحطيم معنوياتهم فكان الرد من الله عليهم بفساد تصورهم وإبطال قولهم ودفعه.

﴿ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ أي إنه كنتم صادقين أنكم تقدرون عن دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن أنفسكم الموت وأسبابه فإنه أحرى بكم.

والمعنى أن القعود غير مغني عن الموت فإن أسباب الموت كثيرة كما أن القتال يكون سببًا في الهلاك والقعود يكون سببًا للنجاة فقد يكون الأمر بالعكس(١).

ومن الآيات كذلك: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة: ٨١].

فهم أرادوا بمقولتهم هذه أن يحطموا الروح المعنوية عند المؤمنين ولكن الله عز وجل رد عليهم بأبلغ رد حتى لم يعد لهذه المقولة أثر في نفوس المؤمنين.

ثانيًا: أمر الله سبحانه المؤمنين بالثبات وعدم الالتفات لما يحاوله أعداءهم من النيل من روحهم المعنوية:

فلا يكترثون بهم وعليهم أن يوثقوا علاقتهم بالله سبحانه فهو مصدر كل قوة قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥] فالثبات وذكر الله سبحانه وهو عدة الفلاح مع أي لقاء مع الأعداء.

يقول العلامة الزمخشري عند تفسيره لهذه الآية: ﴿ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً ﴾ إذا حاربتم جماعة من الكفار واللقاء اسم للقتال غالب ﴿ فَٱثْبُتُواْ ﴾ لقتالهم ولا تفروا ﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ في مواطن الحرب مستظهرين بذكره منتصرين به داعين على عدوكم ﴿ لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ لعلكم تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة(٢).

ثالثًا: وعد الله من لا يلتفت لأي محاولة لتحطيم روحه المعنوية بالجزاء الوفير:

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (١/ ١٨٩).
(٢) الكشاف للزمخشري (٢/ ١٦١، ١٦٢) باختصار.

سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٤].

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ الناس هم نعيم بن مسعود أو جماعة من المنافقين أو ناس من هذيل.

﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾ الناس هنا أبو سفيان وأصحابه ﴿ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ﴾ أي جموعًا كثيرة، ﴿ فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾ فخافوهم واحذروهم فإنه لا طاقة لكم بهم ﴿ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ تصديقًا ويقينًا في دينهم وإقامة على نصرتهم له وقوة وجرأة واستعدادًا ﴿ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ كافينا ﴿ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾ لما فوضوا أمورهم لله واعتمدوا بقلوبهم عليه ولم يؤثر في نفوسهم أية تثبيط أو تهديد أعطاهم الله من الجزاء أربعة معان: النعمة والفضل وصرف السوء واتباع الرضا فرضاهم عنه ورضي عنهم[1] وأي جزاء أعظم من هذه الأربعة.

رابعًا: استخدام القرآن الكريم نفس الوسيلة ضد الأعداء:

استخدم الله سبحانه وتعالى نفس الوسيلة مع أعداء الإسلام وهو وسيلة تحطيم الروح المعنوية وفي ذلك أبلغ رد عليهم وكأنه يقول لهم حاولتم تحطيم معنويات المؤمنين ففشلتم وسيحطمون هم معنوياتكم ومن ذلك ما حكاه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [الحشر: ٥].

وكما في تقطيع الأشجار وخاصة النخيل الأثر الكبير في تحطيم معنويات أعداء الإسلام.

يقول العلامة أبو السعود عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ أي شيء قطعتم من نخلة واللينة هي النخلة الكريمة ﴿ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ أي قطعها وتركها بأمر الله تعالى ﴿ وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ أي وليذل اليهود ويغيظهم أذن في قطعها وتركها لأنهم إذا

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي (٣/ ١٥٢٢، ١٥٢٤) باختصار وتصرف.

رأوا المؤمنين يتحكمون في أموالهم كيف أحبوا ويتصرفون فيها حسبما شاءوا من القطع والترك يزدادون غيظًا ويتضاعفون حسرة وتخصيص اللينة بالقطع إن كانت من الألوان لاستيفاء العجوة والرنية اللتين هما كرام النخيل؛ وإن كانت هي الكرام يكون غيظهم أشد[١].

ومن المواقف التي وردت في السيرة في تحطيم معنويات الأعداء ما فعله النبي ﷺ من حصار الطائف بعد انتصاره على قبيلتي ثقيف وهوازن في موقعة حنين رمى المسلمون الطائف بالمنجنيق ومحاولتهم اقتحام الأسوار بالإضافة إلى تقطيع وتحريق كرومهم مما كان له الأثر الكبير في نفوس بني ثقيف حتى أدركوا أنهم في عزلة نفسية قاتلة فبعثوا وفد يفاوضه عليه السلام فأسلم الوفد ودخل أهل الطائف الإسلام[٢].

وهذا يدل على استخدام الرسول ﷺ لوسيلة تحطيم المعنويات ضد أعدائه.

وهكذا واجه القرآن الكريم وسيلة تحطيم المعنويات حتى أصبحت ليس لها أثر في نفوس المؤمنين بل على العكس كان لها أكبر الأثر على معنويات أعدائهم.

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم، لأبي السعود (٥/ ٧٠٣) باختصار وتصرف.

(٢) الرسول والحرب النفسية، د/ علي حسن الخربوطلي (ص١٤٨).

obeikandl.com

تاسعًا: الجدل:

الجدل لغة: اللدد في الخصومة والقدرة عليها ومراجعة الكلام(١).

وهو المناقشة والمخاصمة(٢).

وفي الاصطلاح: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة لإلزام الخصم(٣) والجدل يكون الغرض منه إلزام الخصم والتغلب عليه في مقام الاستدلال(٤).

والجدل منه ما هو ممدوح ومنه ما هو مذموم فالممدوح جدل أيد الحق أو أفضى إليه، والمذموم كل جدل أيد الباطل أو أفضى إليه، والنوعان موجودان في القرآن الكريم.

فمن الجدل الممدوح ومنه ما هو مذموم فالممدوح جدل أيد الحق أو أفضى إليه والمذموم كل جدل أيد الباطل أو أفضى إليه، والنوعان موجودان في القرآن الكريم.

فمن الجدل الممدوح قوله تعالى مخاطبًا نبيه ﷺ: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل: ١٢٥].

ومخاطبًا الدعاة المصلحين: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

أما الجدل المذموم فمنه ما حكاه قول الله سبحانه: ﴿ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ ﴾ [غافر: ٥].

وقوله تعالى: ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف: ٥٨].

والجدل لو خطير من ألوان الحرب النفسية الذي استخدم كثيرًا ضد الرسول عليه الصلاة والسلام ودعوته، وقد استخدم الجدل في جميع الأزمان والعصور كوسيلة من

---

(١) لسان العرب لابن منظور (١١/ ١٠٥)، ط/ الدار المصرية للتأليف، القاهرة.

(٢) المعجم الوجيز، لفظ جدل (ص٩٥).

(٣) مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان (ص٢٩٨) باختصار وتصرف، ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٤) تاريخ الجدل للشيخ محمد أبو زهرة (ص٥٠)، ط/ دار الفكر العربي، الكويت.

وسائل الحرب النفسية والتأثير[١].

وقد مورست وسيلة الجدل ضد الرسول ﷺ من كل الجبهات المعادية له وكان غرضهم من ذلك فض الناس عنه وتشكيكهم فيه قصدًا منهم حقدًا وحسدًا لما رأوا من نجاح دعوته وازدياد أتباعه.

استخدام المشركون لوسيلة الجدل:

ولقد استخدم المشركون الجدل مع الرسول ﷺ من أول لحظة حين دعاهم إلى الله وحده ونبذ أصنامهم التي لا تنفع ولا تضر فقالوا ما حكاه القرآن الكريم: ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف: ٥٨].

﴿ وَقَالُوٓاْ ﴾ أي قومك[٢]، ﴿ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ ﴾ أي آلهتنا خير عندك أم عيسى عليه السلام فإن يكن في النار فلتكن آلهتنا معه أو آلهتنا الملائكة خير أم عيسى عليه السلام فإذا أجاز أن يعبد ويكون ابن الله كانت آلهتنا أولى بذلك أو آلهتنا خير أم محمد ﷺ فنعبده وندع آلهتنا.

﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ ﴾ أي ما ضربوا هذا المثل إلا لأجل الجدل والخصومة لا لتمييز الحق من الباطل ﴿ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴾ شداد الخصومة حراص على اللجاج[٣].

يقول أ/ سيد قطب: ويتضح مما يقرره القرآن عن طبيعة القوم وهو يقول ﴿ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴾ أنهم لدد في الخصومة ومهارة فهم يدركون من أول الأمر ما يقصد إليه القرآن وما يقصد إليه الرسول ﷺ فيلوونه عن استقامته ويتلمسون شبهة في عموم اللفظ فيدخلون منها بهذه المماحكات الجدلية التي يغرم بمثلها كل من عدم الإخلاص وفقد الاستقامة[٤].

---

(١) تاريخ الجدل للشيخ محمد أبو زهرة (ص٧) باختصار وتصرف.

(٢) تنوير الأذهان للبروسوي، تحقيق الشيخ الصابوني (٤/ ١).

(٣) تفسير البيضاوي (٢/ ٣٧٥، ٣٧٦) ط/ دار الكتب العلمية.

(٤) في ظلال القرآن، أ/ سيد قطب (٥/ ٣١٩٧)، ط/ دار الشروق، باختصار وتصرف.

وهكذا نرى استخدام المشركين للجدل كوسيلة من وسائل الحرب النفسية.

أما استخدام اليهود لوسيلة الجدل فقد اشتهر عنهم ذلك فمن المعروف عنهم أنهم أهل جدل فقد اتبعوا أنبياءهم بالتوائهم ومجادلتهم وقصصهم مع موسى عليه السلام أشهر من أن يشار إليها.

والعقلية والطبيعة نفسها ما تزحزحت عما تركها موسى إلا إلى مزيد من التعقيد والالتواء وقد بدأت حرب الجدل بين النبي وبين اليهود مبكرة نستطيع أن نقول بحلوله المدينة بل وقبل إتيان النبي ﷺ للمدينة فقد كانوا يلقنون المشركين مسائل يجادلون حولها ولكن الجدل المباشر مع النبي ﷺ اشتد بعد دخول بعض أحبار اليهود في الإسلام(١).

وقد كثرت المسائل التي جادل اليهود الرسول ﷺ حولها من جدالهم له حول الساعة وحول الروح وحول احتجاجهم بعدم إيمانهم بأنهم أبناء الله وأحباؤه وأنه لن تمسهم النار إلا أيامًا معدودة وحول عزير وادعاؤهم أنه ابن الله إلى غير ذلك.

ومن الآيات التي أوردها القرآن الكريم والتي تصور صورة من جدليات اليهود قول الله عز وجل: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

يقول الإمام الواحدي في سبب نزول هذه الآية:

قال ابن عباس: قال جبل بن أبي قشيبر وشموال بن زيد وهما من اليهود: يا محمد أخبرنا متى الساعة إن كنت نبيًا فإنا نعلم متى هي، فأنزل الله تعالى هذه الآية(٢).

والآية الكريمة تبين سؤال اليهود وقيل المشركين عن الساعة ووقتها وما أرادوا بذلك الاهتداء وإنما أرادوا الجدال لأن وقتها لا يعني من أراد الاهتداء فالأخرى به أن

(١) الحرب النفسية من منظور إسلامي، د/ أحمد نوفل (٢/ ٥٥، ٥٦)، باختصار وتصرف.
(٢) أسباب النزول للواحدي (ص١٨٧).

يتوجه لما ينفعه من قول وعمل ولا يضيع وقته فيما لا طائل من ورائه ثم يجيبهم النبي ﷺ أن علمها عند الله فهي من الأشياء التي لم يطلع الله أحدًا من خلقه عليه وذلك لا يقدح في مكانة النبي ﷺ ثم تخبر الآية الكريمة أن الساعة لن تأتي إلا فجأة فالأولى صرف الهمم للعمل الصالح والقول السديد.

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ﴾ السائلون هم اليهود وقيل قريش والساعة القيامة وهي من الأسماء الغالبة وإطلاقها على القيامة لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها ﴿ أَيَّانَ ﴾ متى ﴿ مُرْسَىٰهَا ﴾ وقت إرساؤها[١] ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ﴾ استأثر به لم يطلع عليه ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلاً، ﴿ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ لا يظهر أمرها في وقتها إلا الله سبحانه وتعالى، ﴿ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾ فجأة على غير توقع وانتظار.

يقول أ/ رشيد رضا: فيجب على المؤمنين أن يخافوا ذلك اليوم وأن يحملهم الخوف على مراقبة الله تعالى في أعمالهم فيلتزموا فيها الحق ويتحروا فيها الخير ويتقوا الشرور والمعاصي ولا يجعلوا حظهم من أمر الساعة الجدال والقيل والقال[٢].

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ﴾ عالم بها، ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أن علمها عند الله لم يؤته أحدًا من خلقه[٣].

يقول العلامة ابن عاشور:

وفي الآية إشارة إلى أن الرسول ﷺ لا تتعلق همته بتعيين وقت الساعة إذ لا فائدة له في ذلك ولأنه لو اهتم بذلك لكان اهتمامه تطلبًا لإبطال الحكمة في إخفائها وفي هذا إشارة إلى أن انتفاء علمه بوقتها لا ينافي كرامته على الله تعالى[٤].

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٢٨٧) باختصار.
(٢) تفسير المنار (٩/ ٣٨٧).
(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (١/ ٣٧٠) باختصار.
(٤) التحرير والتنوير الجزء التاسع (٥/ ٢٠٥).

وهكذا فقد أكثر اليهود مجادلة النبي ﷺ والمؤمنين بغرض إضعاف شأنهم وزعزعة ثقتهم في أنفسهم ولكن الله هو الذي تولى محاجتهم فالله يدافع عن الذين آمنوا.

كذلك كان للنصارى جدال مع رسول الله ﷺ فقد كان جدال النصارى متمثلاً في وفد نجران حيث جادلوا النبي الكريم ﷺ في شأن عيسى عليه السلام فلقد كلم النبي ﷺ ثلاثة منهم هم أبو حارثة، والعاقب، والسيد، وهم مع اختلافهم في أمرهم يقولون في المسيح هو الله ويقولون هو ولد الله ويقولون هو ثالث ثلاثة.

فلما كلموا الرسول ﷺ قال لهم: «**أسلموا**» فقالوا: قد أسلمنا فقال لهم النبي ﷺ: «**إنكم لم تسلموا فأسلموا**» قالوا: بلى قد أسلمنا قبلك، قال: «**كذبتم يمنعكم من الإسلام دعاؤكم لله ولدًا، وعبادتكم الصليب، وأكلكم الخنزير**» قالوا: فمن أبوه يا محمد فصمت عنهم رسول الله ﷺ فلم يجبهم فأنزل الله نيف وثلاثين آية من أول سورة آل عمران في شأن عيسى فحدثهم عنه بالتفصيل وبدأ الحديث بولادة جدته حنة لأمه مريم في حديث عجيب يدل دلالة قاطعة على عبودية عيسى عليه السلام ونبوة محمد ﷺ فقد جاء في هذه الآيات قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩] ثم دعاهم النبي ﷺ إلى المباهلة وخرج ﷺ ومعه علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين فلما رأوهم قالوا: هذه وجوه لو أقسمت على الله أن يزيل الجبال لأزالها فخافوا ولم يباهلوا(١).

فأنزل الله قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

والآية الكريمة تدل على أن كثرة محاجة النصارى وجدالهم لم يكن لإحقاق الحق

---

(١) انظر: هذا الحبيب يا محمد، لأبي بكر الجزائري (ص٢٠٠) باختصار وتصرف، وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص٩٠).

وإثباته وإنما كان لمجرد المكابرة والعناد ولذلك دعاهم النبي ﷺ إلى المباهلة بالملاعنة المذكورة في الآية.

يقول العلامة ابن عاشور:

الآية تفريع على قوله: ﴿ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴾ لما فيه من إيماء إلى ان وفد نجران ممترون في هذا الذي بين الله لهم في هذه الآيات، أي: فإن استمروا على محاجتهم إياك مكابرة في هذا الحق أو في شأن عيسى فادعهم إلى المباهلة والملاعنة ذلك أن تصميمهم على معتقدهم بعد هذا البيان مكابرة محضة بعد ما جاءك من العلم وبينت لهم فلم يبق أوضح مما حاججتهم به فعلمت أنهم يحاجوك عن مكابرة وقلة يقين فادعهم إلى المباهلة بالملاعنة الموصوفة هنا(١).

وقد فسر العلامة الألوسي المحاججة بالمجادلة والمخاصمة فقال في تفسيره:

﴿ فَمَنۡ حَآجَّكَ ﴾ أي جادلك وخاصمك من وفد نصارى نجران، ﴿ فِيهِ ﴾ أي في شأن عيسى عليه السلام لأنه المحدث عنه وصاحب القصة(٢)، ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ ﴾ هو اليقين الذي يفيد أن عيسى عبد الله ورسوله ﴿ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ﴾ فدعا النبي الحسن والحسين وفاطمة وعلي ﴿ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ ﴾ نتضرع في الدعاء ﴿ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ منا ومنكم في أمر عيسى(٣).

وقد علق أ/ رشيد رضا على هذه الآية بما يشير إلى إعزاز الإسلام لكرامة المرأة وإعلائه لها فلا بأس من خروجها المؤتمرات العامة والدفاع عن الدين في معركة الكلمة وقد عاب على من عزل نساءه عن تعلم الدين ومسائله كما عاب على موجة تقليد الغرب

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور، الجزء الثالث (٣/ ٢٦٤).

(٢) روح المعاني للألوسي، الجزء الثالث (٣/ ٢٩٩).

(٣) تفسير معالم التنزيل للبغوي (١/ ٣١٠) باختصار وتصرف.

وعاداتهم والغناء والعزف وما إلى ذلك وهذا من عوامل الانقلاب الاجتماعي الذي لا تعلم عاقبته[١].

أما المنافقون فكان دورهم في استخدام هذه الوسيلة من وسائل الحرب النفسية كبير حيث كانوا يتولون الترويج للخلافات والمجادلات في داخل الصف المسلم فشكلوا بما يعرف حديثًا طابورًا خامسًا في داخل المجتمع المسلم كما أنهم كانوا عينًا للأعداء على خبايا وخفايا وأسرار المجتمع المسلم[٢].

فكانت معظم المجادلات التي يثيرها المشركون والنصارى واليهود مشعلة من قبل المنافقون الذين هم منهم.

ولعل من أبرز مواقف المنافقين الجدلية هو ما أحدثه عبد الله بن أبي بن سلول من مجادلات شديدة حول خروج النبي ﷺ في غزوة أحد لملاقاة قريش ومن حالفت من المشركين وذلك أنه عندما سار رسول الله ﷺ في ألف مقاتل ليقاتل قريشًا ومن حالفها انسحب عبد الله بن أبي مع ثلث الجيش في الطريق وعندما حاول المسلمون أن يثنوه ومن معه عن التزامهم وأخذوا يذكرونهم بالله ووجوب الطاعة ولزوم الجماعة ولكن عبد الله ومن معه احتجوا بحجج واهية ساقطة وهي انه لن يحدث قتال فلا داعي للخروج وقد أحدث ذلك انقسام في صفوف المسلمين كما أدى ذلك إلى انقسام الباقين بموقفهم تجاه المنافقين إلى قسمين، قسم يرى قتالهم وقسم لا يرى قتالهم[٣].

قال تعالى حكاية عن ذلك: ﴿ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُواْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴾ [النساء: ٨٨].

---

(١) انظر: تفسير المنار (٣/ ٢٦٦، ٢٦٧).

(٢) الحرب النفسية من منظور إسلامي، د/ أحمد نوفل (٢/ ٥٧).

(٣) غزوة أحد، د/ محمد عبد القادر أبو فارس (ص٤٥).

يقول العلامة القاسمي عند تفسيره لهذه الآية:

﴿ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ ﴾ أي فما لكم تفرقتم في أمر المنافقين ﴿ فِئَتَيۡنِ ﴾ أي فريقين ولم تتفقوا على التبرأ منهم، والاستفهام للإنكار والنفي والخطاب لجميع المؤمنين.

لكن ما فيه من معنى التوبيخ متوجهًا إلى بعض المؤمنين وذلك أن فرقة من المؤمنين كانت تميل إليهم وتذب عنهم وتواليهم، وفرقة منهم تباينهم وتعاديهم فأمروا أن يكون على منهج واحد في التباين والتبرؤ منهم لأن دلائل نفاقهم وكفرهم واضحة، فليس لكم أن تختلفوا في شأنهم، قيل أن المراد بالمنافقين هنا عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه الذين خذلوا الرسول ﷺ يوم أحد ورجعوا بعسكرهم بعد أن خرجوا[1].

كما ورد أن النبي ﷺ خرج إلى أحد، فرجع ناس خرجوا معه، فكان أصحاب رسول الله ﷺ فرقتين: فرقة تقول نقتلهم وفرقة تقول لا هم من المؤمنين فأنزل الله ﴿ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴾[2].

والآية الكريمة إرشاد للمؤمنين عامة في كل زمان ومكان إلى وحدة كلمتهم ووحدة صفهم وطاعة قائدهم ما دام على الحق كما أنها توجيه للمؤمنين بعدم مداهنة وملاينة العناصر المريضة في المجتمع المسلم والتي من الممكن أن يستشري خطرها.

وإذا كان النبي ﷺ تعرض لمعارك شديدة من المجادلة من جبهات العداء المختلفة وإذا كان الحق وأتباعه يتعرضون لمثل هذه المعارك من أتباع الباطل فما الدافع لهؤلاء - أتباع الباطل - لخوض هذه المعارك، إنه ولا شك الكبر والغرور اللذان يمنعان صاحبهما من التسليم بالحق والإذعان له.

إن هذا المخلوق الإنسان ينسى نفسه في أحيان كثيرة ينسى أنه كائن ضعيف يستمد القوة لا من ذاته ولكن من اتصاله بمصدر القوة الأول من الله فيقطع اتصاله هذا ثم

---

(١) تفسير محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ١٤٣٥، ١٤٣٦) باختصار وتصرف.

(٢) أخرجه الإمام البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴾ (٦/ ٥٩).

يروح ينتفخ ويورم ويتشامخ ويتعالى يحيك في صدره الكبر يستمده من الشيطان الذي هلك بهذا الكبر ثم سلط على الإنسان فآتاه من قبله.

وإنه ليجادل في آيات الله ويكابر ثم يحاول أنه يقنع الناس أنه يجادل لأنه غير مقتنع ولكن الله العالم بالسرائر يفضح أمره ويقرر أنه ما دعاه إلى الجدال إلا الكبر والتطاول والغرور(١).

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦].

وهكذا يتبين أن القرآن الكريم تولى الرد على جدال أعداء الإسلام فكلما أوردوا مجالاً للجدل رد القرآن عليه وأبطل حججهم.

(١) في ظلال القرآن، أ/ سيد قطب (٥/ ٣٠٨٨، ٣٠٨٩).

منهج القرآن الكريم في مجادلة الخصوم:

والمتدبر لآيات القرآن الكريم يجد أنها احتوت على طرق كثيرة من طرق الجدل استخدمت مع المخالفين للحق المعاندين له، كان من ضمن أهدافها توضح الحق لهم إن كانوا طالبين له ورد كيدهم في نحورهم إن كانوا معاندين مستكبرين.

وقد ذكر العلماء طرقًا من الجدل القرآني منها:

أولاً: الأقيسة الإضمارية.

ثانيًا: القصص.

ثالثًا: قياس الخلف.

رابعًا: مجاراة الخصم في دعواه وإثبات كذبه بإبطال مدعاه.

أولاً: الأقيسة الإضمارية:

وهي الأقيسة التي تحذف فيها إحدى المقدمات[1].

ولقد وردت كثير من أدلة القرآن قد حذفت فيها إحدى المقدمات ومنه ما ورد في رد الله سبحانه وتعالى على النصارى في زعمهم أن عيسى ابن الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٩-٦٠].

أي إن كان خلق عيسى من غير أب مبرر لكونه إله فخلق آدم من غير أم وأب أولى أن يكون إله ولا أحد يقول ذلك.

يقول العلامة البيضاوي عند تفسيره هذه الآيات:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ﴾ إن شأنه الغريب كشأن آدم عليه الصلاة والسلام ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما به الشبه وهو أنه خلق بلا أب

---

(١) حولية كلية أصول الدين بالقاهرة، العدد ١٣ لسنة ١٩٩٦م (ص١٥٢)، باختصار، وانظر: تاريخ الجدل، أ/ محمد أبو زهرة (ص٩٤).

obeikandl.com

كما خلق آدم من التراب بلا أب وأم شبه حاله بما هو أعذب منه إفحامًا للخصم وقطعًا لمواد الشبهة والمعنى خلق قالبه من التراب ﴿ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن﴾ أي أنشأه بشرًا، ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ أي الحق المذكور من الله تعالى والخطاب للنبي ﷺ على طريقة التهييج لزيادة الثبات أو لكل سامع[1].

وهكذا رد القرآن الكريم على مسألة كثيرًا ما جادل فيها النصارى فرد على جدالهم بمنتهى الاختصار مع وضح الحجة.

ثانيًا: القصص:

من الوسائل التي اتخذها القرآن للرد على مجادلة الخصوم وسيلة القصة وتضمينها إبطال ما يزعمه أعداء الإسلام أو يجادلون حوله ومنه قول الله عز وجل على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾ [مريم: ٤١-٤٢] فالقصة تضمنت إبطال عبادة الأصنام والأدلة على كونها لا تصلح أن تكون آلهة وهي أنها لا تسمع ولا تبصر.

يقول العلامة أبي السعود عند تفسيره لهذه الآية:

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ ﴾ أي اتل على الناس قصته وبلغها إياهم فعساهم باستماع قصته يقلعون عما هم فيه من القبائح ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ بيان لدواعي ذكره عليه السلام، ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ ﴾ مستميلاً له متلطفًا في دعوته، ﴿ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ ﴾ ثناؤك عليه عند عبادتك له وجوارك إليه، ﴿ وَلَا يُبْصِرُ ﴾ خضوعك وخشوعك بين يديه وهو لا يسمع ولا يبصر شيئًا من المسموعات والمبصرات ﴿ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾ في جلب نفع أو دفع ضر[2].

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (١/ ١٦٢، ١٦٣) باختصار وتصرف.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم، لأبي السعود (٣/ ٤٢٨) باختصار.

ثالثًا: قياس الخلف:

وسيلة أخرى من وسائل مجادلة القرآن الكريم لخصومه ومعناها إثبات المطلوب بإبطال نقيضه فقد أثبت القرآن الكريم وحدانية الله سبحانه وتعالى بإبطال إمكان كون وجود إلهين قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

يقول العلامة الشوكان: ثم إنه سبحانه أقام البرهان على بطلان تعدد الآلهة فقال: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ ﴾ أي لو كان في السموات والأرض معبودون غير الله لفسدتا أي لبطلتا بما فيهما من المخلوقات ووجه الفساد أن يكون مع الله إلهًا آخر يستلزم أن يكون كل واحد منهما قادر على الاستبداد بالتصرف فيقع عند ذلك التنازع والاختلاف ويحدث بسببه الفساد ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ أي تنزه عز وجل عما لا يليق به من ثبوت الشريك له[(١)].

رابعًا: مجاراة الخصم في دعواه وإثبات كذبه بإبطال مدعاه:

ومن أمثلة ذلك ما سجله القرآن الكريم مصورًا دعوة اليهود بأن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودات فذكر القرآن دعواهم وأبطلها بكونها أمر لا بد فيه من وعد من الله وإلا تكون تقولاً باطلاً على الله ولما كانت من غير وعد من الله فهي دعوى باطلة لا أصل لها.

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٨٠-٨١].

قوله: ﴿ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا ﴾ جوابًا لكلامهم ولذلك فصل ﴿ فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ ﴾ أي فإن كان ذلك فلكم العذر في قولكم لأن الله لا يخلف عهده.

وقوله: ﴿ بَلَىٰ ﴾ إبطال لقولهم ﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ ﴾ أي بلى أنتم

(١) تفسير الشوكاني (٣/ ٤٠٢، ٤٠٣) باختصار وتصرف.

تمسكم النار مدة طويلة لأنكم ما أنتم إلا ممن كسب سيئة ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ فأنتم فيها لا محالة، والقصر المستفاد من التعريف في قولهم ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ قصر إضافي لقلب اعتقادهم[1].

وهكذا يبطل القرآن الكريم دعوى الخصوم ويثبت كذبها.

والقرآن الكريم قد اشتمل على جميع أنواع البراهين العقلية والسمعية وما من برهان ولا استدلال ولا تقسيم إلا وكتاب الله قد نطق به إلا أنه أورده على عادة العرب من الوضوح والجلاء دون دقائق المتكلمين وطرق المناطقة ذلك لأنه نزل بلسان العرب يبين لهم عن الحقائق ويثبت أصول الشرائع ودعائم الحياة السليمة ولأن الذي أنزله هو الذي يعلم السر في السموات والأرض وهو القادر المستقدر فالقرآن الكريم بعيد عن الغموض في المحاجة والجدل واستلزام النتيجة من المقدمات إذ أن العاجز عن إقامة الحجة بالجلي المتضح في أجلى صورة وأنصع عبارة ليفهم العامة من جليها ما يقنعهم ويلزمهم بالحجة وتفهم الخواص من ثنايا ذلك ما يزيد على ما أدركته العامة والدهماء وقد بقى هذا التأثير والإقناع إلى يومنا هذا في نفوس العامة والخاصة[2].

---

(١) التحرير والتنوير (١/ ٥٨٠، ٥٨١) باختصار.

(٢) صفوة البيان في مباحث من علوم القرآن، أ. د/ عزت محمد حسن (ص٢٣٤، ٢٣٥) دار أبو الفضل.

عاشرًا: المقاطعة والحصار الاقتصادي:

من وسائل الحرب النفسية التي استخدمت ضد المسلمين من جبهات العداء المختلفة ظنًا منهم أنهم بالقضاء على اقتصاد المسلمين سيضعفون تمسكهم بدينهم ويقضون على شموخهم وعزتهم التي تنبعث من الإيمان الصادق بالله.

ولكن كالعادة كل هذه السفاسف تتحطم على صخرة الإيمان القوية.

استخدام المشركين لهذه الوسيلة:

رأت قريش أن تنتقل بالحرب النفسية التي أعلنتها منذ ظهور الإسلام إلى مرحلة أخرى أكثر إيجابية وأشد على المسلمين فكانت مرحلة المقاطعة الاجتماعية والاقتصادية من أجل تحقيق الضغط النفسي على الجماعة الإسلامية حتى تخضع وتستسلم وقد خطر هذا التدبير لشياطين قريش حين أرادوا أن يتخذوا إجراءًا حاسمًا ظنوا أنه يبيد خضراء المسلمين فاتفقوا على مقاطعة بني هاشم وبني عبد المطلب واستمرت المقاطعة ثلاث سنوات حتى نقضها بعض ذوي النخوة فيهم وقد خرج المسلمون منها أصلب عودًا وأعظم تجربة وقد كسبوا عطف كثير من الناس وتأييدهم وإعجابهم[(١)].

وقد وردت آيات القرآن تدل على أن أعداء الإسلام من المشركين وغيرهم صادروا أموال المسلمين وأخرجوهم من ديارهم.

والقرآن الكريم يحكي عن مصادرة المشركين لأموال المسلمين وإخراجهم من ديارهم، قال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحشر: ٨].

﴿ لِلْفُقَرَاءِ ﴾ الفيء والغنائم للفقراء والمهاجرين هنا من هاجر إلى النبي ﷺ حبًا فيه

---

(١) الحرب النفسية من منظور إسلامي، د/ أحمد نوفل (٢/ ٣٦، ٣٧) باختصار وتصرف، وانظر: فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي (ص١٢٦)، وانظر: الروض الأنف للسهيلي (٢/ ١٢٧، ١٢٨) باختصار وتصرف.

ونصرة له[١]، ﴿ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ ﴾ أخرجهم كفار مكة أي أحوجوهم إلى الخروج فهم الذين أخرجوهم[٢].

﴿ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا ﴾ أي يطلبون منه أن يتفضل عليهم بالرزق في الدنيا وبالرضوان في الآخرة ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ أي الكاملون في الصدق الراسخون فيه[٣].

فالصبر على الخروج وترك الديار والأموال وقبول المحاصرة الاقتصادية برضا نفس ابتغاء مرضاة الله ورجاء لثوابه لا يتسنى إلا لراسخي الإيمان صادقي القلوب مع الله سبحانه وتعالى.

فالآية الكريمة تبين لنا حصار المشركين للمسلمين وإخراجهم من ديارهم وإرغامهم على ترك الأوطان.

وقد ورد في القرآن الكريم ما يشير إلى استخدام المنافقين لهذه الوسيلة أيضًا، قال الله تعالى: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ﴾ [المنافقون: ٧].

يقول العلامة الألوسي عند تفسيره لهذه الآية: عبر بـ﴿ هُمُ ﴾ مع أن القائل كما دلت بعض الروايات ابن أبي سلول لرضا سائر المنافقين بما قاله و﴿ حَتَّىٰ ﴾ للتعليل أي لا تنفقوا عليهم كي يتفرقوا عنه ﷺ ولا يصحبوه.

وقولهم: ﴿ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾ إما أن يكون للتهكم أو لغلبته عليه حتى صار كالعلم، أو أنهم قالوا ذلك حسب ما يظهرونه من اعتقاد ذلك ويحتمل أن يكون قد عبروا بغير هذه

---

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم، للقرطبي (٩/ ٦٤٩٨).
(٢) المرجع السابق وانظر: مفاتيح الغيب (١٥/ ٤٧٧).
(٣) فتح القدير للشوكاني (٥/ ١٩٨) باختصار.

العبارة فغيرها الله عز وجل إجلالاً لنبيه عليه السلام وإكرامًا[١].

وقد أبطل الله عز وجل ما زعموه من أن عدم إنفاقهم على من عند رسول الله سيؤدي إلى انفضاضهم لأن خزائن الأرزاق بيده سبحانه وتعالى يعطي منها ما يشاء ويمنع من يشاء، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

يقول العلامة الشوكاني تعليقًا على هذه الآية:

بين الله عز وجل في هذه الآية أنه هو الرازق لهؤلاء المهاجرين لأن خزائن الرزق له فيعطي من شاء ما شاء ويمنع من شاء ما شاء، وليعلم هؤلاء المنافقين ذلك ولكنهم لا يعلمون هذه الحقيقة وهي أن خزائن الأرزاق بيد الله عز وجل وأنه القابض الباسط المعطي المانع[٢]، قيل في سبب نزول هذه الآية أنه: حدثت مشاجرة بين أجير لعمر بن الخطاب يسمى جهجاه وسنان الجهني، حليف بني عوف من الخزرج على الماء وأعان جهجاه رجلاً من المهاجرين يقال له جعال وكان فقيرًا، فقال عبد الله بن أبي وإنك لهناك! فقال: وما يعني أن أفعل ذلك؟ واشتد لسان جعال على عبد الله فقال عبد الله: والذي يحلف به لأذرنك ويهمك غير هذا شيء؟ وغضب عبد الله، فقال: والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل: سمن كلبك يأكلك إنا والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، يعني بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله ﷺ، ثم قال أقبل على من حضره من قومه، وقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم على جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولأوشكوا أن يتحولوا عن بلادكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد.

قال زيد بن أرقم: وكان حاضرًا -يسمع ذلك- فقال: أنت والله الذليل القليل

---

(١) روح المعاني للألوسي الجزء الثامن والعشرون (١٥/ ١٦٨، ١٦٩)، باختصار وتصرف.

(٢) تفسير فتح القدير للشوكاني (٥/ ٢٢٩) باختصار وتصرف.

المبغض في قومك ومحمد في عز من الرحمن ومودة من المسلمين، والله لا أحبك بعد كلامك هذا[١].

وهكذا يتضح من الآية الكريمة وسبب نزولها أن المنافقين قد حاولوا محاصرة المسلمين اقتصاديًا بمنع النفقة عنهم وكانوا يستهدفون من ذلك فض الناس عن رسول الله ﷺ وتخليهم عنه فيا لها من وسيلة خطيرة حاولوا استخدامها في غرض خبيث ولكن هيهات لهم ذلك والله هو الرازق ذو القوة المتين بيده ملكوت كل شيء، وما محاولتهم هذه إلا دلالة على جهلهم وقصور فهمهم.

ومن وسائل الحرب النفسية التي استخدمها اليهود ضد المسلمين الحصار الاقتصادي أيضًا فقد قام بعض اليهود بمؤامرة بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وذلك بمقاطعتهم اقتصاديًا وامتناعهم عن دفع ما يجب عليهم دفعة من ديون وبيوع وأمانات لمن اعتنق الإسلام مدعين أن ما كان لهم من حق إنما كان قبل الإسلام وأن دخولهم في هذا الدين أبطل حقهم فيه وإلى ذلك يشير القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٥].

هذه الآية شروع في بيان خيانة اليهود في المال بعد خيانتهم في الدين[٢]، ﴿ وَمِنْ ﴾ تدل على أن فيهم الخائن والأمين، ووصفهم بأن فيهم خائنًا وأمينًا والخلق كلهم كذلك، ولكنهم يخونون المسلمين استحلالاً لذلك[٣]، ﴿ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ وهي معطوفة على ما

---

(١) أسباب النزول للإمام الواحدي (ص٣٦٧) باختصار وتصرف، وانظر: السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١٥٤).

(٢) فتح القدير للشوكاني (١/ ٤٣٣).

(٣) زاد المسير لابن الجوزي (١/ ٤٠٩) بتصرف.

قبله من بعض صفات اليهود من ادعائهم أنهم شعب الله المختار وأن الدين الحق خاص بهم، وهنا بين الله عز وجل أن منهم طائفة تكيد للمسلمين ومنهم من يستحل أكل أموالهم وأموال غيرهم(١).

والمراد من ذكر القنطار والدينار العدد الكثير والعدد القليل يعني أن منهم من هو في غاية الأمانة حتى لو اؤتمن على الأموال الكثيرة أدى الأمانة فيها، ومنهم من هو في غاية الخيانة حتى لو اؤتمن على الشيء القليل فإنه يجوز فيه الخيانة(٢).

ومعنى ﴿ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ﴾ قال الزمخشري: أي مدة دوامك عليه يا صاحب الحق على رأسه متوكل عليه بالمطالبة والتعنيف، أو الرفع إلى الحاكم وإقامة البينة عليه(٣).

وتقديم المجرور على متلعقه في ﴿ عَلَيْهِ قَآئِمًا ﴾ للاهتمام بمعنى المجرور لأن في تقديمه معنى الإلحاح، أي إذا لم يكن قيامك عليه لا يرجع لك أمانتك(٤).

وقد ذكر الله عز وجل حجتهم التي يستحلون بها مصادرة أموال المسلمين وبين كذبهم فيها بقولهم ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ ﴾ أي أن حملهم على جحود الحق أنهم يقولون: ليس علينا في ديننا حرج في أكل أموال الأميين وهم العرب، لأن الله قد أحلها لنا فكذبهم الله عز وجل في ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أي اختلقوا هذه المقالة وتناقلوها بهذه الضلالة، لأن الله قد حرم عليهم أكل الأموال إلا بالحق، وإنما هم قوم بهت(٥).

وأيا كان كما قال العلامة ابن عاشور فقد أنبأنا هذا عن خلق عجيب فيهم، وهو

---

(١) محمد رشيد رضا (٣/ ٢٧٩)، باختصار وتصرف.
(٢) مفاتيح الغيب للرازي (٤/ ٢٨٤) بتصرف.
(٣) الكشاف للزمخشري (١/ ٤٣٨).
(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور، الجزء الثالث (٣/ ٢٨٧).
(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٧٤).

استخفافهم بحقوق المخالفين لهم في الدين واستباحة ظلمهم[١].

وهكذا فقد بين القرآن الكريم استخدام كلاً من المشركين والمنافقين واليهود لهذه الوسيلة كوسيلة من وسائل الحرب النفسية.

وهكذا فوسيلة المقاطعة الاقتصادية التي استخدمها كل من المشركين والمنافقين واليهود يتجلى فيها خبث الطبع ولؤم السريرة، وهي خطة التجويع التي يبدو أن خصوم الحق والإيمان يتواصون بها على اختلاف الزمان والمكان، في حرب العقيدة ومناهضة الأديان ذلك أنهم لخسة مشاعرهم يحسبون لقمة العيش هي كل شيء في الحياة كما هي في حسهم فيحاربون بها المؤمنين، إنها خطة قريش وهي تقاطع بني هاشم في الشعب لينفضوا عن نصرة رسول الله ﷺ ويسلموه للمشركين.

وهي خطة المنافقين كما تحكيها الآية التي تحدثت فيها عن المنافقين لينفض أصحاب رسول الله ﷺ تحت وطأة الضيق والجوع وهي خطة اليهود والشيوعيين في حرمان المتدينين في بلادهم ليموتوا جوعًا أو يكفروا بالله.

وهي خطة غيرهم ممن يحاربون الدعوة إلى الله وحركة البعث الإسلامي في بلاد الإسلام، بالحصار والتجويع ومحاولة سد أسباب العمل والارتزاق وهكذا يتلاقى على هذه الوسيلة الخسيسة كل خصوم الإيمان، من قديم الزمان إلى هذا الزمان[٢].

وأيضًا تأخذ مصادرة أموال المسلمين أشكالاً متعددة الآن منها ما فعلته بريطانيا أثناء احتلالها فلسطين لصالح اليهود فقد عمد المندوب السامي البريطاني إلى إفقار الفلاحين بتشجيعهم على الاستدانة من اليهود من أجل زراعة أراضيهم ومن ثم جمع المحصول وحين تم جمع المحصول أصدر أمرًا يمنع تصديره للخارج فكسدت الأثمار وعجز الفلاحون الصغار عن سداد الديون فأقيمت الحجوزات وبيعت المحاصيل ثم

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور، الجزء الثالث (٣/ ٢٨٨).

(٢) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٦/ ٣٥٧٩) بتصرف.

الأراضي سدادًا لتلك الديون، بالإضافة إلى ذلك صدر قانون عزز بقانون نزع الملكية يقضي بمنح أصحاب المشاريع الاقتصادية وأغلبهم من اليهود أو الأجانب حق نزع ملكية الأراضي التي يرون أنها نافعة للمشروع، وبموجب هذا القانون اغتصب اليهود أراضي كثيرة[1].

كما يتم مصادرة الأموال أحيانًا بصورة لا تلفت النظر، وذلك عن طريق فوائد الديون التي تقترضها بلدان العالم الإسلامي من دول غير إسلامية وعن طريق ترويج السلع الاستهلاكية غير الضرورية والكماليات باهظة الثمن وعن طريق بيع أسلحة للمسلمين لا تؤثر في ضبط ميزان القوة بينهم وبين أعدائهم رغم الأموال الباهظة التي تدفع فيها.

كذلك يتم استخدام هذه الوسيلة من ضرب بعض الدول الحصار الاقتصادي على بعض الدول الإسلامية بأي حجة ما يختلقها هذا النظام الجديد من أجل تجويع العالم الإسلامي وإفقاره.

تصادر أموال المسلمين بإثارة الحروب بين البلدان الإسلامية بحيث يتم استنزاف أموال المسلمين في سداد احتياجات هذه الحروب في الوقت الذي تدمر فيه ثرواتهم، وتستهلك فيه قوتهم وهذا ما تحقق في حرب الخليج بين العراق وإيران والثانية بين العراق والكويت.

وهو ما صرحت به مارجريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا سابقًا حيث قالت تعليقًا على أطروحة تقضي بانسحاب العراق من الكويت تجنبًا للحرب وويلاتها: «إن انسحاب القوات العراقية من الكويت لا يكفي، لأنه من الضروري توجيه ضربة ساحقة إلى العراق وتحطيم العمود الفقري لصدام حسين وهدم البنية العسكرية وإن أمكن البنية

(١) انظر: الإرهاب والعنف في الفكر الصهيوني، لإسماعيل ياغي (ص٨٧١).

الصناعية لهذا البلد»[١].

ويكفي أن نعلم أنا ما أنفق في حرب الخليج بشقيها العراقي الإيراني والعراقي الكويتي كان يكفي لسداد ديون العالم الإسلامي كله، كما كان يكفي إلى إعادة بناء العالم وانتشاله من قبضة الفقر وذله[٢].

وهكذا توحدت كلمة أعداء الإسلام قديمًا وحديثًا على استخدام هذه الوسيلة في حربهم ضد المسلمين فهي وسيلة متأصلة فيهم وإن تباينت أجناسهم وأزمانهم.

(١) أزمة الخليج والنظام العالمي الجديد، لمارسيل بريل، ترجمة من مطبعة مركز ابن خلدون، ودار سعاد الصباح، ط/ أولى، القاهرة، بدون تاريخ (ص١٢٠، ١٢١).
(٢) عرب ومسلمون للبيع، لعبد الودود شلبي (ص٥٩).

obeikandl.com

منهج القرآن في الرد على وسيلة المقاطعة الاقتصادية:

ولقد واجه القرآن الكريم هذه الوسيلة بمنهج يجعلها لا قيمة لها ولا أثر لها في نفوس المسلمين ويمكن تلخيص منهج القرآن فيما يلي:

أولاً: أن القرآن الكريم أخبر أتباعه بأن ما يحدث لهم من جوع وفقر أو ما إلى ذلك فهو ابتلاء من الله.

ثانيًا: أن القرآن الكريم عامل الأعداء بنفس الوسيلة.

أولاً: أن القرآن الكريم أخبر أتباعه بأن ما يحدث لهم من جوع وفقر أو ما إلى ذلك فهو ابتلاء من الله:

ولقد أخبر القرآن الكريم أتباعه بأن ما يحدث لهم من جوع وفقر أو ما إلى ذلك فهو ابتلاء من الله فعليهم الصبر والاحتساب ومن فعل فعليه صلوات من ربه ورحمة وأولئك هم المهتدون، قال الله عز وجل: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَ�ٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم ﴾ أصل البلاء المحنة[(١)] ولنصيبنكم إصابة من يختبر لأحوالكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء[(٢)] والحكمة من الابتلاء ما يلي:

أ- حتى توطن الفئة المؤمنة نفسها على الصبر على الابتلاء إذا ورد فيكون ذلك أبعد لهم عن الجزع وأسهل عليهم بعد الورود.

ب- أنهم إذا علموا أنهم ستصل إليهم تلك المحن اشتد خوفهم فيصير ذلك الخوف تعجيلاً للابتلاء فيستحقون له مزيد الثواب.

---

(١) فتح القدير للشوكاني (١/ ٢٢٤).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (١/ ٩٥).

ج- أن الكفار إذا شاهدوا محمدًا وأصحابه مقيمين على دينه مستقرين عليه مع ما كان عليه من نهاية الضر والمحنة والجوع يعلمون أن القوم إنما اختاروا هذا الدين لقطعهم بصحته فيدعوهم ذلك إلى مزيد التأمل في دلائله وعلى أن يتبعوه[١] فإذا ما صبرت الفئة المؤمنة على ما يبتليها الله من فقر وضيق وجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات فسيكون لها جزاء عظيمًا من الله عز وجل، إنها صلوات الله ورحمته، والصلوات هنا هي المغفرة والثناء الحسن والرحمة كشف الكربة وقضاء الحاجة[٢].

﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ للحق والصواب حيث استرجعوا وسلموا لقضاء الله تعالى[٣].

فلا بد من تربية النفوس بالبلاء ومن امتحان التصميم على معركة الحق بالمخاوف والشدائد وبالجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات، لا بد من هذا البلاء ليؤدي المؤمنون تكاليف العقيدة كي تعز على نفوسهم بمقدار ما قدموا في سبيلها من تكاليف[٤]، وحينما يوقنون بحسن العاقبة والمصير فسيهون عليهم كل ما يلاقون في سبيلها وسيندفعون لها باذلين كل غال ورخيص ناسين ومتجاهلين كل ما يلاقونه من أجلها.

ثانيًا: أن القرآن الكريم عامل الأعداء بنفس الوسيلة:

والخطوة الثانية في مواجهة القرآن لوسيلة الحصر الاقتصادي أن عاملهم بنفس الوسيلة، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ٥].

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي (٢/ ٥٤٢، ٥٤٣) باختصار وتصرف.
(٢) فتح القدير للشوكاني (١/ ٢٢٤).
(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٩٦).
(٤) في ظلال القرآن (١/ ١٤٥) بتصرف.

﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ ﴾ انسلخ، انقضى وأصل الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه، ومنه سلخ الشاة، ﴿ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ ﴾ التي أبيح للناكثين أن يسيحوا فيها هي رجب وذي القعدة وذي الحجة والمحرم ﴿ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ يعني الناكثين، ﴿ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ ﴾ من حل أو حرم[١]، ﴿ وَخُذُوهُمۡ ﴾ الأخذ هو الأسر والأسر إنما يكون للقتل أو الفداء أو المن على ما يراه الإمام[٢] ﴿ وَٱحۡصُرُوهُمۡ ﴾ ضيقوا عليهم فالحصر: التضييق[٣].

ولقد فسر صاحب المنار الحصار فقال: هو حبس العدو حيث يعتصمون من معقل وحصن بأن يحاط بهم ويمنعوا من الخروج والانقلاب إذا كان في مهاجمتهم فيه خسارة كبيرة فاحصروهم إلى أن يسلموا وينزلوا على حكمكم بشرط ترضونه أو بغير شرط.

والمرصد أي الرصد العام وهو مراقبة العدو بالقعود لهم في كل مكان يمكن الإشراف عليه ورؤية تجوالهم وتقلبهم في البلاد[٤].

ومن الآيات الدالة على أن القرآن أدحض هذه الوسيلة بمثلها قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ٧٥ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ٧٦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧٥-٧٧].

فلقد فسر مجاهد العذاب بالقحط والجوع الذي أصابهم الله عز وجل به حتى أكلوا العلهز[٥] من الجوع.

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (١/ ٣٩٥).
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/ ٢٩١٢).
(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (ص١١٩).
(٤) تفسير المنار (١٠/ ١٦١).
(٥) العلهز: كانوا يبلون الصوف بالدم ويشونه ويأكلونه، انظر: الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي (٧/ ٤٥٣٥).

ولقد ذكر العلامة القرطبي أن من شدة ما حدث للمشركين من قحط وجوع قال أبو سفيان للرسول ﷺ : أنشدك الله والرحم! أليس تزعم أن الله بعثك رحمة للعالمين؟ قال: «بلى» قال: فوالله ما أراك إلا قتلت الآباء بالسيف وقتلت الأبناء بالجوع[١].

فالآيات الكريمة تدل على أن الله سبحانه قد واجه حصار الأعداء للمؤمنين بأن حاصرهم بحصار أقوى من حصارهم وأمر المؤمنين بحصارهم.

ولقد استخدم الرسول ﷺ هذه الوسيلة ضد أعداء الإسلام في مواقف كثيرة منها ما ذكره اللواء محمود شيت خطاب في كتابه «الرسول القائد» تحت عنوان «الحصار الاقتصادي» فقال: هدد المسلمون أهم طريق تجارية بين مكة والشام فأصبحت قوافل قريش غير آمنة حين تسلك الطريق مما أثر أسوأ الأثر على تجارة قريش التي تعيش عليها وهدد مكة بالحصار الاقتصادي بمحاولة حرمانها من سلوك طريق مكة - الشام بأمان[٢].

ولقد حاصر النبي ﷺ بني قينقاع وكان لحصارهم أسباب مباشرة وغير مباشرة.

فالأسباب الغير مباشرة هي:

أ- تجسس اليهود على المسلمين لصالح المشركين ونقلهم المعلومات عن نيات المسلمين وتحركاتهم إلى قريش وإظهار عداوتهم بوضوح للمسلمين.

ب- نبذ يهود العهد الذي كانوا قطعوه على أنفسهم للمسلمين بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة المنورة وأظهروا البغي.

أما الأسباب المباشرة فهي:

تعرض يهود لامرأة مسلمة تبيع حليها في سوق بني قينقاع فاستغاثت المرأة فوثب أحد المسلمين على الصائغ اليهودي فشدت يهود على المسلم فقتلوه ثم لجأ يهود إلى

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/ ٤٥٣٥) باختصار وتصرف.

(٢) الرسول القائد، لمحمود شيت خطاب (ص٩٤).

حصونهم يحتمون بها[١].

وحاصر النبي ﷺ بني النضير في شهر ربيع الأول فحاصرهم ست ليال.

قال ابن إسحاق: فتحصنوا منه في الحصون فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخيل والتحريق فيها، فنادوه: أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخيل وتحريقها[٢].

وهكذا كان منهج القرآن الكريم والذي اتبعه الرسول ﷺ في مواجهة الحصار الاقتصادي كوسيلة استخدمها الأعداء في حربهم النفسية ضد المسلمين منهجًا ناجحًا في القضاء على أثرها بل وردها في نحور الأعداء وجعلهم هم المحصورون وبقاء الفئة المؤمنة عالية الرأس قوية العزيمة.

---

(١) الرسول القائد، لمحمود شيت خطاب (ص١٥٣)، بتصرف، وانظر: الرحيق المختوم (ص٢٨٠) باختصار وتصرف.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٩٠) باختصار وتصرف.

openkandl.com

الحادي عشر: الإشاعة:

الإشاعة وسيلة خطيرة المرمى قوية التأثير من وسائل الحرب النفسية التي استخدمت على مر العصور.

والإشاعة في اللغة: الانتشار يقال في هذا العقار سهم شائع إذا كان في الجميع ولم يكن منفصلاً[١].

وهي أيضًا من شاع وانتشر والإشاعات الأخبار المنتشرة، والرجل المشياع هو الذي لا يكتم سرًا[٢]، ويقال شاع الخبر إذا قوي وكثر[٣].

ويقصد بالشائعات نقل خبر غير صحيح وترويجه مع ربطه بواقعة أو رأي أو صفة حتى يكون أقرب إلى الصدق وأدعى إلى التأثير.

والشائعات سلاح رهيب من أسلحة الحرب النفسية التي تفتك بمعنويات الشعوب وتهدف إلى شل فكر الإنسان وجعله ينقاد كقطيع الغنم الذي يهيئه له راعيه إلى المستقبل المجهول أو ينطق نطق الببغاء الذي يردد ما لا يعقله ويحكي ما لا يفهمه[٤].

وحرب الإشاعة جزء من الحرب النفسية، والعدو يشيع شائعات بين المسلمين كثيرة بهدف نشر الرذيلة بينهم وتثبيط المجاهدين وزرع الخوف في قلوب المقاتلين والتلقي عن القيادة الراشدة هو الذي يفوت على العدو هدفه وهذا شأن المؤمنين لا يقعون في أسر شائعات العدو[٥].

لقد استخدمت الشائعات في كل العصور قديمًا وحديثًا لتقويض الروح المعنوية أو

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي (١١/ ٥٠٤)، دار الغد العربي.
(٢) لسان العرب لابن منظور (١٠/ ٥٦).
(٣) معجم ألفاظ مفردات القرآن الكريم للراغب الأصفهاني (ص٢٧٩)، ط/ دار الفكر.
(٤) الحرب النفسية وأثرها في الأديان السماوية (ص٧٣) باختصار وتصرف.
(٥) دروس في العمل الإسلامي للشيخ سعيد حوى (ص١٠٦) باختصار وتصرف، ط/ دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.

لإضعاف الثقة في النفس أو لإذاعة البلبلة والقلق بين الناس حيث وظفت الإشاعة لغرض الحرب النفسية في كل الأزمان فمن خلال الإشاعة تمارس على الخصوم الحرب النفسية بالتلاعب بأعصاب الناس فجنكيز خان المغولي مثلاً كان يوظف الإشاعة بما يغنيه عن نصف جيشه لأنها كانت تمهد له في نفوس خصومه؛ لأن الشائعات تضعف العزائم وتشل القوى وتغتال المعنويات(١).

هذا ولقد كثر استخدام أعداء الإسلام لوسيلة الشائعات ضد القرآن والرسول ﷺ وأصحابه، منذ اللحظة الأولى ولقد تنوعت الجهة التي وجهت إليها هذه الإشاعات فمنها ما وجه لشخص الرسول، ومنها ما وجه للقرآن ومنها ما وجه لأهل بيت النبي ﷺ ومنها ما وجه لأصحابه، ولقد تولى الله عز وجل الرد على هذه الشائعات في القرآن الكريم.

ومن الآيات التي تجسد لنا ما أشاعه أعداء الإسلام ضد الرسول ﷺ ما حكاه القرآن الكريم في قوله عز وجل: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ﴾ [ص: ٤].

﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ ﴾ أي عجب الكفار الذين وصفهم الله سبحانه بأنهم في عزة وشقاق(٢)، ﴿ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ ﴾ أي رسول من أنفسهم ينذرهم بالعذاب إن استمروا على الكفر، وأن وما في حيزها في محل نصب بنزع الخافض أي من أن جاءهم وهو كلام مستأنف مشتمل على ذكر نوع من أنواع كفرهم.

﴿ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ﴾ قالوا هذا القول لما شاهدوا ما جاء به(٣) من المعجزات الخارجة عن قدرة البشر أي هذا المدعي للرسالة ساحر فيما يظهره من

---

(١) الحرب النفسية في صدر الإسلام، مرجع سابق (ص٣٥٣) باختصار وتصرف.
(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ﴾.
(٣) أي النبي ﷺ.

المعجزات، كذاب فيما يدعيه من أن الله أرسله، قيل: ووضع الظاهر موضع المضمر[١] لإظهار الغضب عليهم وأن ما قالوه لا يتجاسر على مثله إلا المتوغلون في الكفر[٢] والفسوق[٣].

ولقد أشاعوا عن القرآن والرسول ﷺ إشاعات كثيرة لتشكيك الناس فيهما وفضهم عنهما وإيجاد الحجة لأنفسهم في توليهم عن الهداية ومن أمثلة ذلك ما حكاه قول الله عز وجل عنهم: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ﴾ [الفرقان: ٤].

يقول العلامة ابن كثير يقول الله تعالى مخبرًا عن سخافة عقول الجهلة من الكفار في قولهم عن القرآن ﴿ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ﴾ أي كذب، ﴿ ٱفۡتَرَىٰهُ ﴾ يعنون النبي ﷺ[٤].

و﴿ ٱفۡتَرَىٰهُ ﴾ اختلقه، ﴿ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ ﴾ أي على الاختلاق، ﴿ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ ﴾ يعنون اليهود، قيل: وهم أبو فكيهة يسار مولى الحضرمي وعداس مولى حويطب بن عبد العزى وجبر مولى ابن عامر.

وتولى الله سبحانه وتعالى الرد على هذه الفرية فقال: ﴿ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ﴾ أي قالوا ظلمًا هائلاً عظيمًا وكذبًا ظاهرًا، وظلمًا منصوبة بـ﴿ جَآءُو ﴾ لأن جاء قد يستعمل استعمال أتى ويعد تعديته.

وقيل: إنه منصوب بنزع الخافض والأصل جاءوا بظلم وقيل هو منتصب على الحال[٥].

ومنه ما حكاه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا

(١) في قوله ﴿ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ بدل «وقالوا».
(٢) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٤٠٦) ط/ دار الوفاء.
(٣) روح المعاني للعلامة الألوسي، الجز الثالث والعشرون (١٣/ ٢٢٤).
(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٣٢١)، ط/ المجموعة المتحدة للنشر والتوزيع، القاهرة.
(٥) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٦١)، ط/ دار الوفاء، باختصار وتصرف.

فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٥-٦].

﴿ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ أحاديث الأولين وما سطروه من الأخبار، وواحد الأساطير أسطورة مثل أحاديث وأحدوثة، وقد قيل: أساطير جمع أسطار مثل أقاويل وأقوال، ﴿ ٱكْتَتَبَهَا ﴾ استكتبها أو كتبها لنفسه ومحل اكتتبها النصب على الحال من أساطير على أنها خبر ثان لأن أساطير خبر أول[١]، ﴿ فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ ﴾ يعني تقرأ عليه ليحفظها لا ليكتبها[٢] ﴿ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ غدوة وعشية.

قال الله عز وجل ردًا عليهم: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ﴾ يعني القرآن، ﴿ ٱلَّذِي يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ ﴾ يعني الغيب[٣]، ﴿ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ وهكذا يتولى الله سبحانه وتعالى الدفاع عن كتابه، وما له وجه من الأعداء ويتولى الرد فيما أنزله على نبيه ﷺ حتى تفند الإشاعة ولم يعد لها أي قيمة فالقرآن هو كتاب الله عز وجل وهو الذي تولى حفظه والدفاع عنه قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

يقول أ/ سيد قطب[٤] في تعليقه على هذه الآيات: وأكذب شيء أن يقول كفار قريش هذه المقالة وهم يوقنون في أنفسهم أنها الفرية التي لا تقوم على أساس فيما يمكن أن يخفى على كبرائهم الذي يلقنونهم هذا القول أن القرآن الذي يتلوه عليهم محمد ﷺ

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٦١، ٦٢) باختصار وتصرف.

(٢) لأنه ﷺ كان أميًا.

(٣) معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٣٦١).

(٤) سيد قطب هو سيد قطب إبراهيم، مفكر إسلامي مصري، ولد بأسيوط سنة ١٣٢٤هـ، وتخرج في كلية دار العلوم بالقاهرة، وعمل في جريدة الأهرام مراقبًا فنيًا بوزارة المعارف، وأوفد في بعثة لدراسة برامج التعليم في أمريكا، ولما عاد انتقد البرامج المصرية وكان يرى أنها من وضع الإنجليز وطالب ببرامج تتمشى والدين الإسلامي، وانضم إلى جماعة الإخوان المسلمين، وسجن معهم حتى أعدم سنة ١٩٦٥م.

شيء آخر غير كلام البشر وهم كانوا يحسون هذا بذوقهم في الكلام وكانوا لا يملكون أنفسهم من التأثر بالقرآن ثم هم كانوا يعلمون عن محمد قبل البعثة أنه الصادق الأمين الذي لا يكذب ولا يخون فكيف به يكذب على الله وينسب إليه قولاً لم يقله[١].

كما كان للمنافقين واليهود النصيب الأكبر في إحاكة الشائعات وترويجها بين المسلمين حسدًا وحنقًا ولعل من أخطر الشائعات التي روجوها لطعن المسلمين في الصميم، شائعة الإفك التي حاك أطرافها كبير المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول ضد شخص النبي عليه السلام ممثلاً في زوجه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قاصدين من وراء هذه الوسيلة من وسائل الحرب النفسية أن يدمروا على الرسول حياته العائلية وأن يسقطوا مكانة أقرب الرجال إليه[٢] وأن يدعوا المسلمين يضطربون في عماية من الأسى والغم تلك الشائعة التي تعتبر حدث الأحداث في تاريخه ﷺ فلم يمكر بالمسلمين مكر أشد من إشاعة هذه الفرية التي مكث مجتمع المدينة بأكمله شهرًا كاملاً وهو يصطلي نارها[٣].

قصة حادثة الإفك:

طريقة الرسول ﷺ مع نسائه في السفر:

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، فلما كان غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه كما كان يصنع، فخرج سهمي عليهن معه، فخرج بي رسول الله ﷺ.

---

(١) في ظلال القرآن الأستاذ سيد قطب (٥/ ٢٥٥١).

(٢) سيدنا أبو بكر الصديق.

(٣) الحرب النفسية في صدر الإسلام، د/ محمد بن مخلف (ص٣٥٨) باختصار وتصرف.

تخلف عائشة للبحث عن عقدها:

قالت: وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العلق[١] لم يهجن اللحم فيثقلن، وكنت إذا رحل لي بعيري جلست في هودجي، ثم يأتي القوم يرحلون لي ويحملونني، فيأخذون بأسفل الهودج، فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير فيشدونه بحباله، ثم يأخذون برأس البعير، فينطلقون به، قالت: فلما فرغ رسول الله ﷺ من سفره ذلك، وجه قافلاً حتى إذا كان قريبًا من المدينة نزل منزلاً فبات به بعض الليل ثم أذن في الناس بالرحيل، فارتحل الناس، وخرجت لبعض حاجتي، وفي عنقي عقد لي فيه جزع ظفار[٢] فلما فرغت انسل من عنقي ولا أدري، فلما رجعت إلى الرحل ذهبت ألتمسه في عنقي فلم أجده، وقد أخذ الناس في الرحيل، فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه، فألتمسه حتى وجدته وجاء القوم خلافي، الذين كانوا يرحلون لي البعير وقد فرغوا من رحلته، فأخذوا الهودج وهم يظنون أني فيه، كما كنت أصنع، فاحتملوه فشدوه على البعير، ولم يشكوا أني فيه، ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به، فرجعت إلى المعسكر وما فيه من داع ولا مجيب؛ قد انطلق الناس.

مرور ابن المعطل:

قالت: فتلففت بجلبابي ثم اضطجعت في مكاني، وعرفت أن لو قد افتقدت لرجع إلي، قالت: فوالله إني لمضطجعة إذ مر بي صفوان بن المعطل السلمي، وكان قد تخلف عن العسكر لبعض حاجته فلم يبت مع الناس، فرأى سوادي فأقبل حتى وقف عليَّ وقد كان يراني قبل أن يضرب علي الحجاب، فلما رآني قال: إنا لله وإنا إليه راجعون ظعينة رسول الله ﷺ ! وأنا متلففة في ثيابي قال: ما خلفك يرحمك الله؟ قالت: فما كلمته، ثم قرب

---

(١) العلق: جمع علقة، وهي ما يتعلق به الإنسان قبل الوجبة. انظر السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ١٥٨).

(٢) الجزع: الخرز. الظفار: مدينة باليمن ينسب إليها هذه الخرز. المرجع السابق.

openkandil.com

البعير، فقال: اركبي واستأخر عني، قالت: فركبت، وأخذ برأس البعير، فانطلق سريعًا يطلب الناس، فوالله ما أدركنا الناس، وما افتقدت حتى أصبحت، ونزل الناس، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقودني، فقال أهل الإفك ما قالوا، فارتعج[1] العسكر، والله ما أعلم بشيء من ذلك.

هجر الرسول لها:

ثم قدمنا المدينة، فلم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة، ولم يبلغني من ذلك شيء وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ وإلى أبوي لا يذكرون لي منه قليلاً ولا كثيرًا، إلا أني قد أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه لي، كنت إذا اشتكيت رحمني ولطف بي، فلم يفعل ذلك بي في شكواي تلك: فأنكرت ذلك منه وكان إذا دخل عليّ وعندي أمي تمرضني.

قال ابن هشام: وهي أم رومان: واسمها زينب بنت عبد دهمان، فراس بن كنانة، قال: كيف تيكم، لا يزيد على ذلك.

مغادرة بيت الرسول إلى بيت والدها:

قال ابن إسحاق قالت: حتى وجدت في نفسي، فقلت يا رسول الله -حين رأيت ما رأيت من جفائه لي-: لو أذنت لي فانتقلت إلى أمي، فمرضتني، قال: لا عليك، قالت: فانتقلت إلى أمي ولا علم لي بشيء مما كان، حتى نقهت من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة، وكنا قومًا عربا لا نتخذ في بيوتنا هذا الكنف التي تتخذها الأعاجم، نعافها ونكرهها، إنما كنا نذهب في فسح المدينة، وإنما كانت النساء يخرجن كل ليلة في حوائجهن، فخرجت ليلة لبعض حاجتي ومعي أم مسطح بنت أبي رهم بنت عبد المطلب بن عبد مناف وكانت أمها بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم خالة أبي

---

(١) اضطرب، انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ١٥٩).

بكر الصديق ﷺ ، قالت: فوالله إنما لتمشي معي إذا عثرت في مرطها[١] فقالت: تعس مسطح؟ ومسطح لقب واسمه عوف، قالت: قلت: بئس لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدرًا، قالت: أوما بلغك خبر يا بنت أبي بكر؟ قالت: قلت: وما الخبر؟ فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك، قلت: أوقد كان هذا؟ قالت: نعم والله فقد كان.

قالت: فوالله ما قدرت أن أقضي حاجتي، ورجعت فوالله ما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدي، قالت: وقلت لأمي يغفر الله لك، تحدث الناس بما تحدثوا به، ولا تذكرون لي من ذلك شيئًا! قالت: أي بنية خفضي عليك الشأن، فوالله لقلما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها، لها ضرائر إلا كثرن وكثر الناس عليها.

خطبة الرسول في الناس:

قالت: وقد قام رسول الله ﷺ في الناس يخطبهم ولا أعلم بذلك، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**أيها الناس ما بال رجال يؤذونني في أهلي، ويقولون عليهم غير الحق، والله ما علمت منهم إلا خيرًا، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيرًا، وما يدخل بيتًا من بيوتي إلا وهو معي**».

ابن أُبيّ ينشر حديث الإفك:

قالت: وكان كِبْر ذلك[٢] عند عبد الله بن أبي بن سلول في رجال من الخزرج مع الذي قال مسطح وحمنة بنت جحش وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله ﷺ ولم تكن من نسائه امرأة تناصيني في المنزلة عنده غيرها، فأما زينب فعصمها الله تعالى بدينها فلم تقل إلا خيرًا وأما حمنة بنت جحش فأشاعت من ذلك ما أشاعت تضادني لأختها فشقيت بذلك.

---

(١) مرطها: كساؤها، السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١٦٠).

(٢) الكبر: الإثم، المرجع السابق.

أثر الخطبة:

فلما قال رسول الله ﷺ تلك المقالة، قال أسيد بن حضير: يا رسول الله إن يكونوا من الأوس نكفكهم، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج، فمرنا بأمرك فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم قالت: فقال سعد بن عبادة وكان قبل ذلك يرى رجلاً صالحًا: كذبت لعمر الله لا تضرب أعناقهم أما والله ما قلت هذه المقالة إلا لأنك قد عرفت أنهم من الخزرج ولو كانوا من قومك ما قلت هذا، فقال أسيد: كذبت لعمر الله، ولكنك منافق تجادل عن المنافقين، قالت: وتساور[1] الناس حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شر ونزل رسول الله ﷺ فدخل علي.

الرسول عليه الصلاة والسلام يستشير الصحابة:

قالت: فدعا علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد، فاستشارهما، فأما أسامة فأثنى علي خيرًا، وقاله، ثم قال يا رسول الله، أهلك ولا نعلم منهم إلا خيرًا، وهذا الكذب والباطل، وأما علي فإنه قال يا رسول الله: إن النساء لكثير وإنك لقادر على أن تستخلف وسل الجارية فإنها ستصدقك، فدعا رسول الله ﷺ بريرة ليسألها، قالت: فقام إليها علي بن أبي طالب، فضربها ضربًا شديدًا، ويقول اصدقي رسول الله ﷺ فتقول والله ما أعلم إلا خيرًا وما كنت أعيب على عائشة إلا أني كنت أعجن عجيني فآمرها أن تحفظه، فتنام عنه، فتأتي الشاة فتأكله.

نزول براءة عائشة:

قالت: ثم دخل علي رسول الله ﷺ وعندي أبواي وعندي امرأة من الأنصار، وأنا أبكي، وهي تبكي معي، فجلس فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**يا عائشة، إنه قد كان ما قد بلغك من قول الناس، فاتقي الله فإن كنت قد قارفتي سوءًا[2] مما يقول الناس فتوبي**

---

(١) تساور: قام بعضهم إلى البعض، السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ١٦١).

(٢) أي دخلتي فيه، المرجع السابق.

إلى الله، فإن الله يقبل التوبة عن عباده» قالت: فوالله ما هو إلا أن قال لي ذلك، فقلص دمعي[١] حتى ما أحس منه شيئًا، وانتظرت أبويّ أن يجيبا عني رسول الله ﷺ، فلم يتكلما، قالت: وأيم الله لأنا كنت أحقر في نفسي، وأصغر شأنا من أن ينزل الله فيّ قرآنًا يقرأ به في المساجد ويصلى به، ولكنني قد كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في نومه شيئًا يكذب به الله عني، لما يعلم من براءتي أو يخبر خبرًا، فأما قرآن ينزل في، فوالله لنفسي كانت أحقر عندي من ذلك، قالت: فلما لم أر أبوي يتكلمان، قلت لهما: ألا تجيبان رسول الله ﷺ ؟ قالت: فقالا: والله ما ندري بماذا نجيبه، قالت: ووالله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر في تلك الأيام، قالت: فلما أن استعجما علي، استعبرت فبكيت، ثم قلت: والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبدًا، والله إني لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس، والله يعلم أني منه بريئة لأقولن ما لم يكن، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدقون، قالت: التمست اسم يعقوب فما أذكره فقلت: ولكن سأقول كما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨] قالت: فوالله ما برح رسول الله ﷺ مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه، فسجي بثوبه ووضعت له وسادة من أدم تحت رأسه، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت فوالله ما فزعته ولا بالتي قد عرفت أني منه بريئة، وأن الله عز وجل غير ظالمي، وأما أبوي فوالذي نفس عائشة بيده، ما سري عن رسول الله ﷺ حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فرقًا من أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس، قالت: ثم سري عن رسول الله ﷺ فجلس وإنه ليتحدر منه مثل الجمان[٢] في يوم شات، فجعل يمسح العرق عن جبينه ويقول: «**أبشري يا عائشة فقد أنزل الله برائتك**» قالت: قلت: بحمد الله ثم خرج إلى الناس، فخطبهم وتلى عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن في ذلك ثم أمر بمسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش وكانوا ممن أفصح بالفاحشة

(١) أي ارتفعت دموعي، المرجع السابق.

(٢) حب من فضة وقيل اللؤلؤ: انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ١٦٢).

فضربوا حدهم.

أبو أيوب وقصته مع زوجته:

قال أبو إسحاق: وحدثني أبي إسحاق بن يسار عن بعض رجال بني النجار: أن أبا أيوب خالد بن زيد، قالت له امرأته يا أبا أيوب ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى وذلك الكذب، أكنت يا أم أيوب فاعلة؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله، قال: فعائشة والله خير منك[١].

ما نزل من القرآن:

وقد أنزل الله عز وجل آيات من القرآن في براءة السيدة عائشة، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ... ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ ﴾ [النور: ١١-١٩].

و﴿ بِٱلْإِفْكِ ﴾: الكذب[٢].

وقيل الإفك: أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء، وقيل هو: البهتان وهو الأمر الذي لا تشعر به حتى يفاجأك وأصله الإفك وهو القلب لأنه قول مأفوك عن وجهه[٣].

وقيل الإفك: الكذب وهو أسوأ الكذب سمي إفكًا لكونه مصروفًا عن الحق من قولهم أفك الشيء الذي قلبه عن وجهه وذلك أن عائشة كانت تستحق الثناء لما كانت عليه من الحصانة والشرف فمن رماها بالسوء قلب الأمر عن وجهه[٤].

﴿ عُصْبَةٌ ﴾ العصبة الفرقة المتعصبة قَلَّت أو كثرت وكثر إطلاقها على العشرة فما

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ١٥٨، ١٦٢) باختصار وتصرف.
(٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي (٧/ ٤٥٩٠)، ط/ دار الريان.
(٣) مفاتيح الغيب للرازي (١١/ ٤٨٩).
(٤) معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٣٣١).

فوقها وتطلق على الأقل من ذلك[١]، ﴿ مِّنكُمۡۚ ﴾ من أهل ملتكم وممن ينتمي إلى الإسلام سواء كان كذلك في نفس الأمر أم لا فيشمل ابن أبي لأنه ممن ينتمي إلى الإسلام ظاهرًا وإن كان كافرًا في نفس الأمر، وقيل: إن قوله تعالى: ﴿ مِّنكُمۡۚ ﴾ خارج مخرج الأغلب وأغلب أولئك العصبة كانوا مؤمنين مخلصين[٢].

﴿ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ ﴾ أي يا آل أبا بكر ﴿ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ ﴾ أي في الدنيا والآخرة لسان صدق في الدنيا ورفعة منازل في الآخرة وإظهار شرف لهم باعتناء الله تعالى بعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها حيث أنزل الله براءتها في القرآن العظيم[٣].

وقيل: خير عظيم لكم لنيلكم بالصبر عليه الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله عز وجل بإنزال ما فيه تعظيم بشأنكم وتشديد الوعيد فيمن تكلم بما أحزنكم[٤].

﴿ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم ﴾ أي من الذين جاءوا بالإفك ﴿ مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ ﴾ أي جزاء ما اكتسب وذلك بقدر ما خاض فيه فإن بعضهم تكلم وبعضهم ضحك كالمعجب الراضي بما سمع وبعضهم أكثر وبعضهم أقل[٥]، ﴿ كِبۡرَهُۥ ﴾ بكسر الكاف وضمها مصدران لكبر الشيء أي عظم[٦] لأن العرب تقول فلان تولى عظم كذا وكذا أي كبره[٧]، وقيل: ابتدأ به وقيل الذي كان يجمعه ويستوشيه ويشيعه.

﴿ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ أي على ذلك، ثم الأكثرون على أن المراد بذلك عبد الله بن أبي

---

(١) روح المعاني للألوسي، الجزء الثامن عشر (١٠/ ١٦٩) باختصار.
(٢) روح المعاني للألوسي، الجزء الثامن عشر (١٠/ ١٧٠).
(٣) مختصر تفسير ابن كثير (٢/ ٥٩٠).
(٤) روح المعاني للألوسي، الجزء الثامن عشر (١٠/ ١٧٠)، وانظر: مفاتيح الغيب للرازي (١١/ ٤٩١).
(٥) روح المعاني للألوسي، الجزء الثامن عشر (١٠/ ١٧١).
(٦) السابق ذاته.
(٧) الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي (٧/ ٤٥٩٢).

ابن سلول قبحه الله ولعنه وقيل المراد به حسان بن ثابت وهو قول غريب ولولا أنه وقع في صحيح البخاري ما قد يدل على إيراد ذلك لما كان من إيراده كبير فائدة فإنه من الصحابة الذين لهم فضائل ومناقب ومآثر وأحسن مآثره أنه كان يذب عن الرسول ﷺ بشعره[١].

وقيل الوعيد بأن له عذابًا عظيمًا يقتضي بأنه عبد الله بن أبي سلول وفيه إنباء بأنه يموت على الكفر فيعذب العذاب العظيم في الآخرة وهو عذاب الدرك الأسفل من النار وأما بقية العصبة فلم من الإثم بمقدار ذنبهم وفيه إيماء بأن الله يتوب عليهم إن تابوا كما هو الشأن في هذا الدين[٢].

أثر هذه الإشاعة وخطرها:

إن الذي يقرأ حديث الإفك يشعر بأثر الإشاعة وخطرها على وحدة الصف المسلم بداية من النبي ﷺ ومرورًا بزوجه عائشة ووالديها رضي الله عنهم جميعًا وشمولاً للمجتمع المسلم بأسره.

فالمسلمون تعطلت أنشطتهم وتوقفت سراياهم شهرًا بأكمله وانشغلوا بهذه الإشاعة فهم بين قليل مصدق لها لعب المنافقون بعقله وبين كثير مكذب لها ورافضًا وبين ساكن جمدت الكلمات على لسانه، بل وتطور أثر هذه الإشاعة أن حصلت مشاتمة بين زعيمي الأوس والخزرج وانتقلت إلى القبيلتين لولا أن حكمة الرسول ﷺ تداركت الفتنة وأخمدتها بالإصلاح بينهم.

أما عائشة فقد وصل خطر الإشاعة بها أن فكرت في الانتحار[٣] وأصابتها حمى

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير (٢/ ٥٩٠) بتصرف.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٩/ ١٧٣).

(٣) كما ورد عند الطبراني في الكبير (٢٣/ ١٢١/ ١٥٧)، والأوسط (٥٨٢) أنها قالت: «لما بلغني ما تكلموا به هممت أن آتي قليبًا فأطرح نفسي فيه». وقال في الأوسط: تفرد به خالد بن خداش. اهـ. وخالد ضعفه غير واحد.

شديدة أهزت أوصالها وأما والداها فلقد انفطرت قلوبهم لما أشيع ضد ابنتهم ولما يرونه عليها من تدهور صحتها وبكائها الذي لا يجف.

ولقد أثرت هذه الإشاعة على نفس النبي ﷺ فلقد تغيرت معاملته لعائشة وخاصة في مرضها(١).

والسيرة النبوية للرسول ﷺ فيها الكثير والكثير من الإشاعات التي روجها أعداؤه والتي كانت لها الأثر في الصف المسلم منها:

أنه لما قتل سيدنا مصعب بن عمير رضي الله عنه في غزوة أحد على يد ابن قمئة ظن ابن قمئة أنه قتل الرسول ﷺ فانصرف إلى المشركين وصاح إن محمدًا قد قتل وشاع الخبر في صفوف المسلمين فخارت عزائمهم وانهارت معنوياتهم وارتبكت صفوفهم وعمهم الاضطراب والفوضى وألقى رجال سلاحهم من أيديهم ووقفوا حيارى مدهوشين وكان هذا هو أثر الإشاعة في الصف المسلمين أما وقعها عند المشركين فلقد أثلجت صدورهم لظنهم أنهم نجحوا في غاية مرامهم(٢).

ولولا أن رحمة الله تداركت الصف المسلم واستطاع الرسول ﷺ أن يصل إلى جمع الجيش المسلم ويعلمهم "أنه حي لكن لنا أن تصور الهزيمة الساحقة التي كادت تلحق المسلمين من جراء هذه الإشاعة.

ومن الإشاعات التي روجها اليهود وتلقفها المنافقون ليعلونها والتي تجسد سواد قلوبهم تجاه الرسول ﷺ وأصحابه أنه لما تم انتصار الرسول ﷺ في بدر أرسل بشيرين إلى أهل المدينة ليعجل لهم البشرى أرسل عبد الله بن رواحة بشيرًا إلى أهل العالية وأرسل

---

(١) في ظلال السيرة النبوية، غزوة الأحزاب، د/ محمد عبد القادر أبو فارس (ص٦١)، وما بعدها باختصار وتصرف.

(٢) هذا الحبيب يا محب لأبي بكر الجزائري (ص٢٦٥)، باختصار وتصرف، ط/ مكتبة السواري للتوزيع، وانظر: الرحيق المختوم (ص٣٢٠) باختصار وتصرف، ط/ دار الوفاء.

زيد بن حارثة بشيرًا إلى أهل السافلة.

وكان اليهود والمنافقون قد أجفوا في المدينة بإشاعة الدعايات الكاذبة حتى أنهم أشاعوا خبر مقتل النبي ﷺ فلما رأى أحد المنافقين زيد بن حارثة راكبًا القصواء ناقة رسول الله ﷺ قال: لقد قتل محمد وهذه ناقته أعرفها، وهذا زيد لا يدري ما يقول من الرعب وجاء فارًا -أي منهزمًا- فلما بلغ الرسولان أحاط بهما المسلمون وأخذوا يسمعون منهم الخبر وتأكدوا من نصر المسلمين فعمهم الفرح والسرور[١].

ومن أمثلة ما أشاعوه عن الصحابة رضوان الله عليهم تلك الإشاعة التي روجها المشركون في مكة في عمرة القضاء حيث أشاعوا أن المسلمين يعانون عسرة وجهدًا وحاجة واصطفوا عند الندوة ليتشفوا من المسلمين ويروا ما بهم من الجهد والمشقة والضعف والهزال الذي شاعه المرجفون بينهم.

ولكن الرسول ﷺ واجه هذه الشائعة بدحضها وتفويت الفرصة على مروجيها، وذلك أنه ﷺ لما دخل بيت الله الحرام اضطبع بردائه فأخرجه عضده اليمنى ثم قال: «**رحم الله امرءًا أراهم اليوم من نفسه قوة**» ثم استلم الركن وأخذ يهرول ويهرول أصحابه معه. وبهذا أرى المشركين عكس ما توقعوا فقضى على الشائعة بالأفعال لا بالأقوال[٢].

هذا هو الموقف السديد تجاه الشائعات التي يحاول أعداء الإسلام ترويجها داخل الصف المسلم هو قتلها في مهدها وعدم ترويجها ونقلها حتى على سبيل الإخبار لأن في لوكها بالألسنة خدمة لأعداء الإسلام وتحقيقًا لأغراضهم الخبيثة وهي إشاعة الفاحشة في الصف المسلم.

---

(١) الرحيق المختوم للمباركوفوري (ص٢٦٦) وما بعدها، ط/ دار الوفاء.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ (٢/ ١٥٣) وانظر: السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٢٠٢).

منهج القرآن في الرد على وسيلة الشائعات:

ولقد استخدم أعداء الإسلام وسيلة الشائعات فقاومها القرآن الكريم وأدحضها وأسقطها وسن منهجًا يسد الباب أمام أي شائعة تحاول أن تأخذ طريقها لتفت في الصف المسلم ويمكن تلخيص هذا المنهج في العناصر التالية:

أولاً: الأمر بالتثبت أمر الله سبحانه وتعالى بالتثبت.

ثانيًا: النهي عن التجسس.

ثالثًا: أمر القرآن الكريم بدحض الشائعة ووأدها في مهدها.

رابعًا: توعد سبحانه الذين يروجون الشائعات.

خامسًا: أمر القرآن بزجر مروِّج الشائعة.

أولاً: الأمر بالتثبت: أمر الله سبحانه وتعالى بالتثبت:

أمر الله سبحانه وتعالى بالتثبت من الأخبار قبل ترويجها ومطالبة من ينقل الخبر بالبينة على صدقه فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات: ٦].

أي فتعرفوا وتفحصوا، روى أنه عليه الصلاة والسلام بعث الوليد بن عقبة مصدقًا إلى بني المصطلق وكان بينه وبينهم إحنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم مقاتليه فرجع، وقال لرسول الله ﷺ قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فهم بقتالهم فنزلت، وقيل بعث خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلاة متهجدين فسلموا إليه فرجع، وتنكير الفاسق والنبأ للتعميم وتعميم الأمر بالتبين على فسق المخبر يقتضي بجواز قبول خبر العدل من حيث أنه معلق على شيء ينعدم عند عدمه، وأن خبر الواحد وجب تبيينه من حيث هو كذلك[1].

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (٢/ ٤٥١)، وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص٣٣٢، ٣٣٣).

وهذا النص سبب لنزول الآية ومنه يظهر أن عدم التثبت يؤدي إلى كارثة يعقبها ندم حيث يصعب تصحيح ما وقع، ويثبت كذلك أن الصف المؤمن حين يربى على التثبت من الأخبار يقضي على الشائعات ويسد الباب أما شرورها.

ومن ضمن التثبت أمر الله سبحانه وتعالى من يأتي بخبر يخص أعراض الناس أن يأتي بأربعة شهود على هذا الخبر وإلا أقيم عليه الحد وحكم بكذبه وفسقه.

وقد جاءت آيات القرآن تحكم على من أشاع شائعة في عرض الناس ولم يأت بأربعة شهداء بأن يجلد ثمانين جلدة ويحكم بفسقه، وترد شهادته، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٤].

ولا شك أن من علم أن من أشاع إشاعة ولم يأت ببينة عوقب بهذه الثلاثة الجلد والحكم بالفسق ورد الشهادة انتهى عن ترويج أي إشاعة أو أي خبر ما دام لا يجد عليه بينة.

وقد جاءت آيات القرآن الكريم تحكم على مروج الإشاعة بغير بينة بالكذب، قال تعالى: ﴿ لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴾ [النور: ١٣].

يقول العلامة البغوي في تفسيره قوله: ﴿ لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ ﴾ على ما زعموا، ﴿ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴾ كاذبين إذ لم يأتوا بالشهداء ومن كذب فهو عند الله كاذب سواء أتى بالشهداء أم لم يأت؟ قيل عند الله أي في حكم الله وقيل معناه كذبوهم بأمر الله وقيل هذا في حق عائشة ومعناه أولئك هم الكاذبون في غيبي وعلمي[1].

ثانيًا: نهي القرآن الكريم أتباعه عن التجسس:

(١) معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٣٢).

لقد نهى القرآن الكريم أتباعه عن التجسس وسوء الظن بالناس وحذرهم من عاقبة ذلك، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١٢].

يقول العلامة الشوكاني: والظن هنا مجرد التهمة التي لا سبب لها كمن يتهم غيره بشيء من الفواحش ولم يظهر عليه ما يقتضي ذلك وأمر سبحانه باجتناب الكثير ليفحص المؤمن عن كل ظن يظنه حتى يعلم وجهه(١).

وحكى القرطبي عن أكثر العلماء أن الظن القبيح بمن ظاهره الخير لا يجوز وأن لا حرج في الظن القبيح لمن ظاهره القبيح(٢).

﴿ وَلَا تَجَسَّسُواْ ﴾ التجسس البحث عما ينكتم عنك من عيوب المسلمين وعوراتهم(٣).

ثالثًا: أمر القرآن الكريم بدحض الشائعة ووأدها في مهدها:

فلقد أمر الله عز وجل المؤمنين بعدم تناقل الشائعات حتى لا تضر بالصف المسلم، قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١٦].

فالأولى أن يستقبل الصف المسلم الشائعة بثبات ويقين وأنها عامل هدم فيه فيجب ألا تلوكها الألسنة وتتناقلها الأفواه فإذا فعلوا ذلك فلن تقوم لهذه الشائعة قائمة ولن يكون لها قيمة.

يقول العلامة ابن عاشور: وإنما قال تعالى: ﴿ مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا ﴾ دون

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٦٥-٦٦).
(٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي (٩/ ٦١٥٢).
(٣) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٦٦).

obeikandl.com

ليس لنا أن نتكلم بهذا للتنبيه على أن الكلام في هذا وكينونة الخوض فيه حقيق بالانتفاء فهي أشد في نفس الفعل وهذا مسوق للتوبيخ على تناقلهم الخبر الكاذب وتوجيه الخطاب إلى الله في قوله: ﴿ سُبْحَٰنَكَ ﴾ للإشعار بأن الله غاضب على من يخوض في ذلك فعليهم أن يتوجهوا لله بالتوبة منه لمن خاضوا فيه، وبالاحتراز من المشاركة فيه لمن لم يخوضوا فيه[١].

رابعًا: توعد الله سبحانه وتعالى الذين يروجون الإشاعات الكاذبة بالعذاب العظيم:

ولقد توعد الله عز وجل الذين يروجون الشائعات بالعذاب الأليم؛ لأن الذين يروجون الشائعات في المجتمع المسلم هدفهم هدم بنيان المجتمع ونشر الرذيلة فيه فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور: ١٩].

فالآية الكريمة فيها تهديد ووعيد للقاذفين البرءاء بالزنا والذين يحبون أن يفشوا القذف بالفاحشة وهي الزنا في الذين آمنوا فتوعدهم بعذابين الأول في الدنيا وهو الجلد والثاني في الآخرة وهو عذاب النار، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ ﴾ أي يحبون أن تفشو الفاحشة وتنتشر[٢]، والله يعلم شر ما خضتم فيه وما يتضمن من سخط الله ﴿ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ذلك.

أو والله يعلم كذب الذين جاءوا بالإفك من صدقهم وأنتم لا تعلمون ذلك لأنكم لا تعلمون الغيب على أهل الإيمان بالله ولا سيما حلائل رسول الله فتهلكوا[٣].

وهكذا فالآية الكريمة تهدد وتتوعد من يشيع الشائعات الكاذبة في المجتمع المسلم وخاصة التي تمس أعراض الناس بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة وتحذرهم من الهلاك

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٤/ ١٦).
(٢) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٦/ ٢٢) باختصار وتصرف.
(٣) فتح القدير للشوكاني (٤/ ١٦).

من سخط الله عليه.

قال تعالى أيضًا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٌ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [النور: ١١].

يقول العلامة الألوسي: ﴿ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم ﴾ أي لكل الذين جاءوا بالإفك ﴿ مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ ﴾ أي جزاء ما اكتسب وذلك الجزاء بقدر ما خاض فيه فإن بعضهم تكلم وبعضهم ضحك كالمعجب الراضي بما سمع وبعضهم أكثر وبعضهم أقل.

﴿ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ ﴾ أي تحمل معظمه، ﴿ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ في الدنيا والآخرة أو في الآخرة فقط، وفي التعبير بالموصول وتكرير الإسناد وتنكير العذاب ووصفه بالعظم من تهويل الخطب ما لا يخفى[1].

ولا شك أن بهذه الخطوات التي اتخذها القرآن الكريم في علاج الإشاعة قد سد الباب أمام أي شائعة تأخذ بطريقها لتخلخل داخل الوسط المؤمن فعلى المسلمين أن يعودوا راشدين لمنهج القرآن ويسيروا عليه ليسعدوا بخيري الدنيا والآخرة.

(١) روح المعاني للألوسي الجزء الثامن عشر (١٠/ ١٧١) باختصار.

obeikandl.com

المبحث الثاني
أهداف الأعداء من الحرب النفسية

أهداف الأعداء في الحرب النفسية:

كان لأعداء الإسلام أهدافًا دفعتهم لاستخدام الحرب النفسية ضد المسلمين، وقبل أن أذكر هذه الأهداف سأعرف الهدف أولاً:

يقال هدف إليه هدفًا: دخل.

وهدف إلى الشيء هدفًا: قصد وأسرع.

وهدف إلى الأمر: جعله هدفًا له[١].

والهدف: هو القصد والمراد من الشيء يقال سدد الهدف: أوصله إلى مرماه، والهدف هو نية الوصول إلى الشيء المعين[٢].

والنية في اللغة: القصد.

وفي الشرع: قصد الشيء مقترنًا بفعله[٣].

وقد تمثلت أهداف الأعداء في الحرب النفسية في العناصر التالية:

أولاً: تفتيت وحدة الأمة.

ثانيًا: التشكيك في القيادة.

ثالثًا: التشكيك في المنهج.

رابعًا: إضعاف الروح المعنوية.

خامسًا: تدمير أخلاق المسلمين.

---

(١) المعجم الوجيز، مادة هدف (ص٦٤٦).

(٢) المخصص لابن سيده (٤/ ٩١)، ط/ المكتب التجاري للطباعة، بيروت.

(٣) لسان العرب لابن منظور (١/ ٢٩٢)، ط/ الدار المصرية للتأليف، القاهرة.

obeikandi.com

أولاً: تفتيت وحدة الأمة:

كان وما زال تفتيت وحدة الأمة الإسلامية على رأس أهداف أعداء الإسلام في حربهم النفسية ضد المسلمين.

فهم يريدون المسلمين فِرَقًا وجماعات مفتتة حتى يسهل عليهم افتراسهم والقضاء عليهم.

ولكن المسلمين الأوائل خيبوا محاولات أعدائهم لتفتيت وحدتهم، لقوة دينهم وتمسكهم بالقرآن الذي كان يتنزل عليهم يثبتهم ويقوي عزائمهم.

قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩].

سبب نزول هذه الآية:

قال ابن عباس: نزلت في نفر من اليهود قالوا للمسلمين بعد واقعة أحد: ألم ترو ما أصابكم؟ ولو كنتم على حق ما هُزِمْتُم، فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم[1].

يقول العلامة أبو السعود في تفسيره لهذه الآية: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم ﴾ حكاية لودادتهم ﴿ مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ متعلق بإيمانكم، ﴿ كُفَّارًا ﴾ أي يصيرونكم كفارًا ﴿ حَسَدًا ﴾ علة لود أو حال أريد به نعت الجمع أي حاسدين لكم، والحسد الأسف على من له خير بخيره ﴿ مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ متعلق بود أي ودوا ذلك من أجل تشهيهم وحظوظ أنفسهم لا من قبل التدين ﴿ مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ بما عاينوا في التوراة من الدلائل وزعموا أنهم متمسكون به، وهم منهمكون في الباطل، ﴿ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ ﴾ العفو ترك العقوبة والمؤاخذة، والصفح: ترك التثريب والتأنيب،

---

(١) أسباب النزول للواحدي (ص٣٦).

﴿ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓ ﴾ بقتال بني قريظة وإجلاء بني النضير أو بالأمر بالقتال[١].

فالآية الكريمة تصور محاولة أعداء الإسلام خاصة اليهود إلى تفتيت وحدة الأمة باستمالة بعض عناصرها وإرجاعهم عن دينهم حتى تتفرق الأمة ويتشتت شملها وما تلك المحاولة منهم إلا لمرض نفوسهم واعوجاج فطرتهم.

ومن الآيات القرآنية المطهرة التي نزلت تكشف عن محاولات بعض الأعداء لتفتيت وحدة الأمة وتحذر المسلمين من الانخداع لتلك المحاولات قول الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [آل عمران: ١٠٠-١٠١].

وكانت تلك المحاولة: هي ما حاوله شاس بن قيس أحد أحبار اليهود حين رأى الأوس والخزرج مجتمعين في الإسلام بعد فرقتهم وحروبهم في الجاهلية، فغاظه ما رأى فذكرهم بيوم بعاث[٢].

وكادت أن تنشب الحرب بينهم فسمع الرسول ﷺ بذلك فعالج الموقف بسرعة حيث وقف فيهم وقال: أبدعوى الجاهلية تدعون وأنا بين أظهركم، وتلا الآية الكريمة، فعادوا راشدين، وفشلت محاولة شاس بن قيس في تفريق كلمتهم وتفتيت شملهم[٣].

فالآية الكريمة تتعجب من حال المؤمنين إن هم تأثروا بمحاولة أعدائهم في تخليتهم عن دينهم.

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، للعلامة أبي السعود (١/ ١٧٤، ١٧٥) باختصار وتصرف.

(٢) يوم بعاث: كان يوم بعاث يوم اقتتلت فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه يومئذ للأوس على الخزرج، وكان على الأوس يومئذ حضير بن سماك الأشهلي، وأبو أسيد حضير وعلى الخزرج عمرو بن العنمان البياض فقتلوا جميعًا. انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٩٦).

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٩٥، ٩٦) باختصار وتصرف.

obeikandl.com

﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ ﴾ يعني: ولم تكفرون.

﴿ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ أي القرآن، ﴿ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ﴾ محمد ﷺ.

قال قتادة: في الآية علمان: بيان كتاب الله ونبي الله، أما نبي الله فقد مضى، وأما كتاب الله فقد أبقاه الله بين أظهركم رحمة من الله ونعمة فلا يليق بكم وهو فيكم التفرق والتناحر[١].

﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ ﴾ وبكتابه يكون الاعتصام إذ أنه حبله الممدود ورسوله هو الوسيلة إليه وهو ورده المورود[٢] ﴿ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ الصراط المستقيم هو: الطريق الواضح[٣] الذي من شأنه أن من استمسك به وسلك فيه لا يضل ولا يخشى عليه من المهالك، فلا تروج عنده الشبهات ولا تروق في عينه التراهات وقد جاء جواب الشرط بصيغة الماضي المحقق للإشعار بأن من يلتجئ إليه تعالى ويعتصم بحبله فقد تحققت هدايته وثبتت استقامته[٤].

فالآية الكريمة توضح كيف أن أعداء الإسلام يحاولون إيقاع الفرقة والشتات بين صفوف المؤمنين ولا ينبغي لهم أن ينجحوا في ذلك؛ لأنه بين صفوف المسلمين أقوى العوامل على ثباتهم ووحدتهم وهي كتاب الله وسنة رسوله.

ومن أمثلة السيرة التي تبين محاولات أعداء الإسلام لتفريق الأمة الإسلامية باستقطاب بعض عناصرها ما يحكيه كعب بن مالك عما حدث له بعد تخلفه عن غزوة تبوك إذ يقول: بينما أنا أمشي في السوق إذا نبطي[٥] يسأل عني من نبط الشام، ممن قدم

---

(١) انظر: معالم التنزيل للبغوي (١/ ٣٣٢).

(٢) تفسير المنار، أ/ محمد رشيد رضا (٤/ ١٦).

(٣) انظر: معالم التنزيل للبغوي (١/ ٣٣٢).

(٤) تفسير المنار، أ/ محمد رشيد رضا (٤/ ١٦).

(٥) النبطي واحد النبط، قوم من العجم كانوا يسكنون بين العراق والأردن، عاصمتهم البطراء. السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٩٥).

openkandil.com

بالطعام يبيعه في المدينة، يقول: من يدلني على كعب بن مالك قال: فجعل الناس يشيرون له إليّ، حتى جاءني فدفع إلي كتابًا من ملك غسان وكتب كتابه في سرقة[١] من حرير، فإذا فيه: أما بعد فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جافاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فألحق بنا نواسك، قال: قلت حين قرأتها، وهذا من البلاء أيضًا قد بلغ بي ما وقعت فيه أن طمع فيّ رجل من أهل الشرك، فعمدت إلى تنور فسجرته[٢] بها[٣].

فهذه كانت محاولة لتفتيت وحدة الأمة بفتنة أحد عناصرها وهي تصور مدى كون أعداء الإسلام مهتمين بأخبار المسلمين ليستغلوا كل فرصة يجدونها سانحة أمامهم فهلا وعى المسلمون ذلك.

ومن مواقف السيرة أيضًا والتي تعكس محاولات أعداء الإسلام لتفريق شمل المسلمين: أن جهجاه بن مسعود أجير عمر بن الخطاب ازدحم على ماء هو وسنان بن وبر الجهني حليف الأنصار فصرخ الجهني يا معشر الأنصار، وصرخ جهجاه يا معشر المهاجرين وغضب عبد الله بن أبي بن سلول وعنده رهط من قومه فقال: أوقد فعلوها؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا[٤] والله ما عندنا وجلالبيب قريش إلا كما قال الأول: سمن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل[٥]، ثم أقبل على من حضر من قومه محاولاً تحريضهم ضد المهاجرين وتفريق شمل المسلمين قائلاً: هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عنهم بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم ووصل نبأ ما قاله للنبي ﷺ وأشار عليه عمر بن الخطاب

---

(١) السرقة: الشقة من الحرير. المرجع السابق.
(٢) سجرته أحرقته بلهت النار، المرجع السابق.
(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٩٥).
(٤) يقصد المهاجرين.
(٥) يقصد بالأعز نفسه وبالأذل الرسول ﷺ.

بأن يؤمر به فيقتل، ولكن النبي ﷺ رفض خشية أن يقال أن محمدًا ﷺ يقتل أصحابه[١].

فهذه محاولة خبيثة لتحريض الأنصار على المهاجرين من عبد الله بن أبي والتي كان من شأنها لو نجحت أن توقع الفرقة بين الأمة وتفتت شملها ولولا حكمة الرسول ﷺ واستيعابه للموقف لنجحت هذه المحاولة.

وفي العصر الحديث اتبع أعداء الإسلام مع المسلمين نفس المنهج تحقيقًا لنفس الهدف ونجحوا فيه للأسف فقسموا الأمة الإسلامية إلى دويلات متصارعة مطبقين لمبدأ «فرق تسد» وما زالوا يغرون الدول الإسلامية بعضها ببعض حتى يظلوا مسيطرين على الموقف، وتقسمت الدول الإسلامية إلى شعوب وقوميات تعتز كل دويلة بقوميتها بعيدًا عن أن يجمع بين الجميع إسلامهم.

كما وضع الاستعمار حديثًا حدودًا مصطنعة بين الدول الإسلامية ثم أدار رحى الفتنة للإيقاع بين الدول بعضها وبعض على هذه الحدود وقامت حروب كثيرة كان المسلمون هم الطرف الخاسر وأعداءهم هم المستفيدون الوحيدون.

فحرب إيران والعراق، والكويت والعراق ما هي إلا نتاج هذه المحاولات الخبيثة.

ومن الخلافات على الحدود الخلاف بين الإمارات وإيران على جزر أبي موسى وطنب الصغرى، وبين مصر والسودان على حلايب، وبين السعودية واليمن على الحدود الجنوبية أيضًا، وغيرها الكثير الذي يجسد محاولة أعداء الإسلام لتشتيت الأمة وتمزيق وحدتها وإثارة الفتنة فيما بينها[٢].

ولقد أدرك الغرب النصراني أن وحدة المسلمين وتماسكهم كانت وراء انتصاراتهم على الغرب، لذلك حاولوا عن طريق التبشير إثارة الفتن والاضطرابات داخل العالم

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١٥٤)، باختصار وتصرف.

(٢) الحرب النفسية وأثرها في الأديان السماوية، رسالة ماجستير للباحث حنفي بكر (ص٥٢٣) باختصار وتصرف.

الإسلامي، ولذلك قال القس «سيمون» إن للتبشير عاملاً مهمًا في كسر شوكة الوحدة الإسلامية، ويجب أن نجول بالتبشير مجاري التفكير في هذه الوحدة حتى تستطيع النصرانية أن تتغلغل في المسلمين.

لذلك قام المبشرون ببث الفتن داخل المجتمعات الإسلامي حتى أن المبشر «زويمر» قد اندس بين أبناء الأزهر في زي طلبة العلم، ثم راح يوزع منشورات توقع الفتنة الطائفية بين المسلمين والأقباط، وقد أثارت هذه الحادثة ضجة كبرى في الصحافة المصرية سنة ١٩١٩م، وكذلك كان المبشر «هنري لامنس» يقوم بأعمال مماثلة في الشام[١].

وهكذا فالأمثلة قديمًا وحديثًا تؤكد أن:

١- وحدة منهج أعداء الإسلام ضد المسلمين على مر العصور وإن اختلفت الطرق والأساليب.

٢- مدى الحقد والكره الذي يضمره أعداء الإسلام للمسلمين لولا ذلك ما استهدفوهم بتفريق أمتهم وتفتيت وحدتهم سواء بمحاولاتهم زعزعة المسلمين عن دينهم أو بإحياء قوميات غير إسلامية فيهم.

٣- أن المسلمين قديمًا كانوا فطناء لما يحاول ضدهم أما اليوم فهم أذيال ما يملي عليهم ويخدعون به من أعدائهم.

فهم أتباع اقتصاديًا وبالتالي فهم أتباع فكريًا فقديمًا قالوا: من كانت أكلته من فأسه كانت كلمته من رأسه.

---

(١) احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، د/ سعد الدين السيد صالح، ط/ مكتبة التابعين، القاهرة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

obeikandi.com

ثانيًا: التشكيك في القيادة:

كان ومازال التشكيك في القيادة من أهم أهداف أعداء الإسلام في حربهم النفسية ضد المسلمين وإذا كان الكلام على الحرب النفسية كما تحدث عنها القرآن الكريم فالقائد كان حين نزول القرآن هو رسول الله ﷺ ولقد اتخذ الأعداء في التشكيك به الكثير من وسائل التشكيك منها وسيلة الاستهزاء بشخصه ﷺ وإثارة الإشاعات حوله ﷺ وحول أهل بيته وهذا ما بينته في وسائل الأعداء في الحرب النفسية في الصفحات السابقة.

ومن الآيات الكريمة التي صورت بعض مظاهر التشكيك فيه ﷺ قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ [التوبة: ٥٨].

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ ﴾ يعيبك ويطعن عليك[١] ﴿ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ في قسمها، ﴿ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ قيل نزلت في أبي الجواظ المنافق فقال: ألا ترون إلى صاحبكم، إنما صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم أنه يعدل[٢].

فهذه كانت محاولة مسمومة في التشكيك في عدالة الرسول ﷺ في قسم الصدقات، وما دفع هذا المنافق إليها الدفاع عن حق أو رد مظلمة وإنما دفعه الحقد الدفين والثأر لنفسه لأنه لم يعط منها.

ومن آيات القرآن الكريم التي حكت تشكيك أعداء الإسلام في شخص القائد الرسول ﷺ أيضًا قول الله عز وجل: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦١].

---

(١) تفسير كلمات القرآن للشيخ حسنين مخلوف، دار الإمام النووي، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، (ص١٩٦).

(٢) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (١/ ٤٠٩) باختصار وتصرف.

نزلت هذه الآية في جماعة من المنافقين كانوا يؤذون الرسول ﷺ ويقولون فيه ما لا ينبغي، قال بعضهم: لا تفعلوا فإنا نخاف أن يبلغه ما يقولون فيقع بنا، فقال الجلاس بن سويد نقول ما شئنا ثم نأته فيصدقنا بما نقول، فإنما محمد أذن سامعة، فنزلت هذه الآية[(١)].

والآية الكريمة تمثل نوعًا من أنواع النفاق وآثاره وهو إيذاء الرسول ﷺ بالطعن في أخلاقه العظيمة وشمائله الكريمة وناهيك بكفر من يصغرون من عظمة رب العالمين بقوله لرسوله[(٢)] ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

﴿يُؤْذُونَ﴾ الأذى ما يؤلم الحس المدرك في بدنه أو في نفسه ولو ألمًا خفيفًا[(٣)]، ﴿أُذُنٌ﴾ يقال رجل أذن إذا سمع مقال كل أحد، يستوي فيه الواحد والجمع ومرادهم لعنهم الله أنهم إذا آذوا النبي ﷺ بسطوا فيه ألسنتهم وبلغه ذلك اعتذروا له وقيل ذلك منه لأنه يسمع ما يقال له فيصدقه لا يفرق بين الصحيح والباطل[(٤)].

فهم أرادوا لعنهم الله التشكيك في شخصه ﷺ بوصفه أنه لا يستطيع التفريق بين القول الحق والقول الباطل فهو يصدق كل أحد فردت الآية الكريمة عليهم وتوعدتهم بالعذاب الأليم ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

ومن محاولات أعداء الإسلام التي تمثل تشكيكهم في القائد رسول الله ﷺ ما حكاه قول الله عز وجل: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص٢٠٥، ٢٠٦).
(٢) انظر: تفسير المنار، أ/ محمد رشيد رضا (١٠/ ٤٥٠)، باختصار وتصرف.
(٣) انظر: تفسير المنار، أ/ محمد رشيد رضا (١٠/ ٤٥٠).
(٤) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٣٩٤) باختصار.

ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

روى أن أعرابيًا نازع أنصاريًا في بعض الغزوات على ماء فضرب الأعرابي رأسه بخشبة، فشكى إلى ابن أبي، فقال: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، وإذا رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، عنى بالأعز نفسه، وبالأذل رسول الله ﷺ[1]، والقائل عبد الله بن أبي وحده وأسند القول إلى المنافقين مع كون القائل فرد من أفرادهم وهو عبد الله بن أبي لكونه كان رئيسهم وصاحب أمرهم وهم راضون بما يقوله سامعون له مطيعون، ثم رد الله عليهم بقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أي القوة والغلبة لله وحده ولمن أفاضها عليه من رسله وصالحي عباده لا لغيرهم اللهم كما جعلت العزة للمؤمنين على المنافقين فاجعل العزة للعادلين من عبادك، وأنزل الذل على الجائرين الظالمين.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ بما فيه النفع فيفعلونه، وبما فيه الضر فيجتنبونه، بل هم كالأنعام لفرط جهلهم ومزيد حيرتهم والطبع على قلوبهم[2].

فهم لجهلهم وسوء فهمهم زعموا أنهم هم الأعزاء على رسول الله ﷺ وفي ذلك تشكيك في شخصه ﷺ وتهوين من شأنه والتهوين من شأنه أمام الناس فنزلت الآية الكريمة ردًا دامغًا عليهم يصحح المفاهيم ويدحض الأباطيل.

ومن مواقف السيرة التي تدل على تشكيك أعداء الإسلام في القيادة الإسلامية المتمثلة في شخص النبي ﷺ.

أنه لما ضلت ناقة النبي ﷺ قال رجل من المنافقين: إن محمدًا يزعم أنه نبي وأنه يخبركم بخبر السماء وهو لا يدري أين ناقته.

وهنا يظهر الرد الدافع عن رسول الله ﷺ ليبطل هذه المحاولة ويزيل كل الشكوك

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/ ٤٩٦).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٢٢٩).

التي يحتمل أن تتغلغل إلى ضعاف النفوس حيث قال ﷺ : «**إن رجلاً ليقول كذا وكذا وإنه والله لا أعلم إلا ما علمني الله، إنها في شعب كذا وقد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتوني بها**» فذهبوا فوجدوها كما قال ﷺ وجاءوا بها[١].

ولقد أثار أعداء الإسلام حديثًا شبهات حول الرسول ﷺ بهدف تشويه صورته والتشكيك فيه وبثوا هذه الشبهات داخل المجتمعات الإسلامية بل والغربية أيضًا.

ويركز هؤلاء الأعداء المزورون على قضية تعدد الزوجات في حياة النبي ﷺ ليظهره شهوانيًا مزواجًا يبحث عن المرأة ليقضي وطره ويغفلون الأسباب التي دعته ﷺ لذلك سواء ما كان تأليفًا للقلوب أو إكرامًا لزوج شهيد أو حادثًا لسن تشريع مما أوضحه العلماء وأدرك سره الحكماء، وإن بعض أزواجه كن في سن الشيخوخة التي لا يرجى معها شهوة، ولا يبحث عندها رغبة في جسد، وأنه ﷺ بقى مع السيدة خديجة وحدها أكثر من خمسة وعشرين عامًا دون أن يفكر في غيرها وهو في أوج شبابه[٢].

وهكذا فإن هدف الأعداء من التشكيك في القيادة من أخطر الأهداف على الصف فهو يزلزل الثقة بالقائد وأوامره ثم قد يأتي بنتائج تؤدي إلى تصدع الصف وانهياره.

ونظرًا لخطورة هذا الهدف فقد أمعن أعداء الإسلام في استخدامه قديمًا وحديثًا فهلا بمن يذب عن نبيه وقائده وحامل مشعل هدايته للناس أجمعين!!!

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ١٧٧).

(٢) تاريخنا بين تزوير الأعداء وغفلة الأبناء، يوسف العظم، دار القلم (ص١٦٢).

ثالثًا: إضعاف الروح المعنوية:

الروح المعنوية هي أهم عوامل النصر، فهي تفعل ما لا تفعله الأسلحة والمعدات، فالمسلمون في بدر مثلاً لم ينتصروا بعدة ولا عتاد وإنما انتصروا بروح مرتفعة معنوياتها بالإيمان ماضية لإرضاء الرحمن.

ولقد فطن أعداء الإسلام لخطر الروح المعنوية منذ اللحظة الأولى فهدفوا لإضعافها، واتخذوا لذلك محاولات شتى منها ما حاوله المنافقون لإضعاف معنويات المسلمين في الخندق بقولهم الذي حكاه القرآن ﴿ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ١٢ وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ﴾ [الأحزاب: ١٢-١٣]، وتلك محاولات خبيثة منهم لإضعاف الروح المعنوية لدى جنود المسلمين ومحاولة إرجاعهم من القتال.

فالآيتان تعرضان محاولات هؤلاء الأعداء من المنافقين لزعزعة وإضعاف روح القتال من المسلمين.

﴿ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ ﴾ صيغة المضارع تدل على استمرار القول واستحضار صورته.

﴿ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ ظاهر القول أنهم قوم لم يكونوا منافقين، فقيل أنهم قوم كان المنافقون يستميلونهم[(١)]، ﴿ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ ﴾ من إعلاء الدين والظفر[(٢)]، ﴿ إِلَّا غُرُورٗا ﴾ أي وعد غرور وقيل أي قولاً باطلاً أو أمر يغرنا ويوقعنا فيما لا طاقة لنا به[(٣)].

﴿ وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ ﴾ الطائفة: تقع على الواحد فما فوقه وعنى به هنا أوس بن

---

(١) روح المعاني للألوسي، الجزء الحادي والعشرون (١٢/ ٢٤٠) باختصار وتصرف.
(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم، لأبي السعود (٤/ ٣١١) باختصار وتصرف.
(٣) روح المعاني للألوسي، الجزء الحادي والعشرون (١٢/ ٢٤٠) باختصار وتصرف.

قيظي والد عرابة بن أوس[١]، وقيل الطائفة التي قالت الكلام كانت من المنافقين وقيل هم بنو سالم وقال السدي هم عبد الله بن أبي وأصحابه[٢].

﴿ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ ﴾ هو اسم المدينة المطهرة، وقيل اسم بقعة وقعت المدينة في ناحية منها وقد نهى النبي ﷺ أن تسمى بها كراهة لها وقيل هي طيبة أو طابة كأنهم ذكروها بذلك الاسم مخالفة له عليه الصلاة والسلام ونداؤهم إياهم بعنوان أهليتهم لها ترشيح لما بعده من الأمر بالرجوع إليها[٣].

﴿ لَا مُقَامَ لَكُمۡ ﴾ أي لا ينبغي أو لا يمكن الإقامة هاهنا[٤]، ﴿ فَٱرۡجِعُواْۚ ﴾ إلى منازلكم هاربين، وقيل المعنى لا مقام لكم على دين محمد فارجعوا إلى الشرك وسلموا لتسلموا، أو لا مقام لكم بيثرب فارجعوا كفارًا ليمكنكم المقام بها[٥].

والطائفة من المنافقين لم تكتف بالرجوع فقط بل حاولت أن تضعف من الروح المعنوية للآخرين، فأمروا غيرهم بالهروب من معسكر النبي ﷺ وقالوا ليس الموضع هنا موضع إقامة[٦].

﴿ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ ﴾ أي في الرجوع، قيل هو بنو حارثة، وقيل هم بنو سلمة بن جشم، قاله مقاتل، ﴿ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ ﴾ قال ابن قتيبة: أي خالية فقد أمكن من أراد دخولها وأصل العورة ما ذهب عنه الستر والحفظ فكأن الرجال ستر وحفظ للبيوت، فإذا ذهبوا عورت البيوت ﴿ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۛ ﴾ لأن الله يحفظها، ولكن يريدون الفرار، وقيل: قالوا بيوتنا ضائعة نخشى عليها السراق، وقال قتادة: قالوا: بيوتنا مما يلي

---

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي (٨/ ٥٢٢٩).
(٢) انظر: فتح القدير للشوكاني (٤/ ٢٥٨) باختصار وتصرف.
(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم، لأبي السعود (٤/ ٣١١).
(٤) الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي (٨/ ٥٢٣٠).
(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (٢/ ٢٤١) باختصار وتصرف.
(٦) انظر: فتح القدير للشوكاني (٤/ ٢٥٩).

العدو، ولا نأمن على أهلنا، فكذبهم الله وأعلم أن قصدهم الفرار[١].

والآية الكريمة وإن كانت تدل في دلالتها المباشرة على موقف هؤلاء المنافقين المتخاذل في غزوة الأحزاب فهي تدل أيضًا على أنهم لا يكتفون بتخاذلهم وحدهم بل يحاولون إضعاف وتخذيل من حولهم حتى لا يظهرون كالأجرب وسط الأصحاء كما تدل الآية على أن الشدائد تظهر معادن الرجال ففي الرخاء الكل سواء أما في الشدة فيظهر المعدن الطيب من المعدن الخبيث.

ومن مواقف السيرة التي تؤكد تركيز أعداء الإسلام على إضعاف الروح المعنوية للمسلمين كهدف من أهدافهم:

أ- قتل الدعاة.

ب- حادثة الإفك.

ج- إشاعة مقتل النبي ﷺ.

أ- قتل الدعاة:

حاول المشركون والمنافقون أن ينالوا من معنويات المسلمين وأن يؤثروا عليها كي لا يطمئنوا إلى إرسال دعاتهم خارج المدينة وبذلك يحصرون الدعوة في محيط ضيق لا يتسع لآمالها القريبة والبعيدة.

فلقد قدم على رسول الله ﷺ رهط من عضل القارة فقالوا: يا رسول الله إن فينا إسلامًا فابعث معنا نفر من أصحابك يفقهوننا ويقرءوننا القرآن ويعلمونا شرائع الإسلام فبعث معهم عشرة رهط وأمر عليهم عاصم بن ثابت فخرجوا حتى إذا بلغوا الرجيع[٢]

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي (٦/ ٣٦٠، ٣٦١) باختصار.

(٢) الرجيع: ماء لهذيل بناحية الحجاز يقع قريبًا مما بين مكة وعسفان. انظر: هذا الحبيب (ص٢٨٠).

غدروا بهم فقتلوا منهم ستة[١].

كذلك غدر ابن الطفيل من بني عامر مع بعض الأعراب بأربعين داعيًا من دعاة الإسلام في بئر معونة بنجد فقضوا عليهم إلا رجلاً واحدًا عاد إلى المدينة يحمل أخبار الشهداء[٢].

ب- حادثة الإفك[٣]:

ومن النماذج أيضًا في السيرة المطهرة التي تدل على محاولة أعداء الإسلام لتدمير الروح المعنوية عند المسلمين.

وقد حاول المنافقون وغيرهم من أعداء الإسلام التأثير على معنويات المسلمين بوسيلة أخرى وهي وسيلة اختلاق الأكاذيب فاختلقوا حديث الإفك بعد غزوة بني المصطلق وكانت تلك الفرية إيذاء للرسول ﷺ في نفسه وأهله وكادت تقوم بسببها فتنة لولا حكمة الرسول ﷺ وحسن مداخلته.

وللإنسان أن يتخيل مدى التأثير النفسي الذي عانى منه رسول الله ﷺ والمسلمون مدة من الزمن حتى تعطلت غزواتهم ومصالحهم.

أيضًا من المواقف التي تدل على محاولة أعداء الإسلام لتدمير الروح المعنوية عند المسلمين.

ج- إشاعة مقتل النبي ﷺ:

ففي غزوة أحد شاع خبر مقتل الرسول ﷺ في المشركين والمسلمين، وهذا هو الظرف الدقيق الذي خارت فيه عزائم كثير من الصحابة الذين كانوا مع الرسول ﷺ وانهارت معنوياتهم حتى وقع داخل صفوفهم ارتباك شديد وعمتهم الفوضى والاضطراب إلا أن هذه الصيحة خففت بعض التخفيف من مضاعفة هجمات المشركين

---

(١) انظر: الروض الأنف (٢/ ١٦٧)، ط/ الجمالية مصر، ١٩١٤م.

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٤/ ٧١، ٧٤)، باختصار وتصرف.

(٣) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١٥٩، ١٦٥) باختصار وتصرف.

لظنهم أنهم نجحوا في غاية مرادهم واشتغل كثير منهم بتمثيل قتلى المسلمين[١].

أيضًا من الأمثلة:

ما كانت تفعله هند بنت عتبة في غزوة أحد بالضرب بالدف بهدف رفع معنويات المشركين وتدمير معنويات المسلمين[٢].

والأمثلة غير ذلك كثيرة وهي تنطق بمحاولات هؤلاء الأعداء للنيل من معنويات المسلمين بشتى الطرق والوسائل سواء كان ذلك يتمثل في قتل الدعاة وكان هدفهم من قتلهم إضعاف الروح المعنوية عند المسلمين وهو يدل على مدى الحقد الذي يضمره أعداء الإسلام للمسلمين فهم يحاولون إضعاف الروح المعنوية عند المسلمين وزرع الخوف في نفوسهم، فلا يأمن أحد منهم أن يخرج داعيًا إلى الله.

ولكن هيهات أن ينال ذلك من روح المؤمنين الصادقين والدليل على ذلك أن ملأ الإسلام ربوع الأرض على يد هؤلاء المسلمين الأوائل ولو تخاذلوا وتأثروا بأسلوب أعدائهم هذا ما خرجوا عن المدينة شبرًا واحدًا أو كان هذا يتمثل في إشاعة الأخبار الكاذبة وإلصاق التهم بالأبرياء وخصوصًا القيادة ومحاولتهم محاربة القيادة بإلصاق التهم الكاذبة حتى تنعدم فيها الثقة.

---

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١٩)، باختصار وتصرف.

(٢) الرحيق المختوم، مرجع سابق (ص٣٠٢) باختصار وتصرف.

obeikandl.com

رابعًا: التشكيك في المنهج:

كذلك كان من أهداف أعداء الإسلام تشكيك المسلمين في منهجهم الذي يتبعونه ودستورهم الذي يعملون به وهو القرآن الكريم وجريا وراء هذا الهدف كانت لهم محاولات عديدة حكاها القرآن الكريم منها:

١- ما أشاعوه عن القرآن الكريم بهدف التشكيك فيه حيث أشاعوا عنه أنه ليس من عند الله وإنما تلقاه محمد ﷺ وتعلمه من بشر، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل: ١٠٣].

﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ الجملة جواب عن كلامهم فهي مستأنفة استئنافًا بيانيًا بأن قولهم ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ ﴾ يتضمن أنه ليس منزل من عند الله فيسأل سائل: ماذا جواب قولهم؟ فيقال: ﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾.

ولقد كشف القرآن هذا اللبس بأوضح كشف إذ قال قولاً فاصلاً دون طول جدال ﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ أي كيف يعلمه وهو أعجمي لا يكاد يبين وهذا القرآن فصيح عربي معجز[(١)].

فالآية الكريمة حجة دامغة على إبطال دعواهم في التشكيك في القرآن فكيف يتعلم الرسول من رجل أعجمي ويكون على هذه الدرجة المعجزة من الفصاحة والبيان.

ومن الآيات الكريمة التي مثلت محاولة من محاولات أعداء الإسلام في التشكيك في القرآن قول الله عز وجل: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور، الجزء الرابع عشر (٧/ ٢٨٧) باختصار.

غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٤-٦].

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ ﴾ شروع في حكاية أباطيلهم المتعلقة بالمنزل والمنزل عليه معًا وإبطالها[١]، ﴿ إِفۡكٌ ﴾ كذب، ﴿ ٱفۡتَرَىٰهُ ﴾ اختلقه محمد ﷺ والإشارة بقوله ﴿ هَٰذَآ ﴾ إلى القرآن، ﴿ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ ﴾ أي على الاختلاق، ﴿ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَ ﴾ يعنون من اليهود، قيل: وهم أبو فكيهة يسار مولى الحضرمي، وعداس مولى حويطب ابن عبد العزى، وجبر مولى ابن عامر[٢].

﴿ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمًا ﴾ التنوين للتفخيم أي ظلمًا هائلاً عظيمًا حيث جعلوا الحق البحت الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إفكًا مفترى من قبل البشر وهو من جهة نظمه الرائق وطرزه الفائق بحيث لو اجتمعت الإنس والجن على مجاراته لعجزوا عن الإتيان بمثل آية من آياته ومن جهة اشتماله على الحكم الخفية والأحكام المستتبعة للسعادات الدينية والدنيوية والأمور الغيبية بحيث لا يناله عقول البشر وسمي الكذب زورًا لازوراره أي ميله عن جهة الحق[٣].

﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ وفي معنى الآية قولان:

أحدهما: أنها ما سطر من أخبارهم وأحاديثهم، قال ابن عباس ﴿ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ كذبهم وأحاديثهم في دهرهم.

الثاني: معنى ﴿ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ الترهات ومعناها عند العرب: طرق غامضة ومسالك مشكلة[٤].

﴿ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا ﴾ اكتتبها لنفسه أو استكتبها ﴿ فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (٤/ ١٢٠).
(٢) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٦١).
(٣) روح المعاني للألوسي، الجزء الثامن والعشرون (١٠/ ٣٤٤) باختصار وتصرف.
(٤) زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٢٠) باختصار وتصرف.

﴿ بُكۡرَةً وَأَصِيلاً ﴾[١] وهي تلقى عليه دائمًا ليحفظها.

﴿ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ لأنه أعجزكم عن أمره بفصاحته وتضمنه أخبارًا عن مغيبات مستقبلية وأشياء مكنونة لا يعلمها إلا عالم الأسرار فكيف تجعلونه أساطير الأولين.

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ فلذلك لا يعجل في عقوبتكم على ما تقولونه مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم أن يصب عليكم العذاب صبًا[٢].

ولما أورد القرآن ما شكك أعداء الإسلام فيه ورد عليهم أصبح تشكيكهم لا قيمة له ولا طائل من ورائه فهو ناطق بالحق والصدق وهو النبراس المضيء لمن استضاء به وهو المنهاج الصالح لكل زمان ومكان.

ومن ضمن محاولات الأعداء للتشكيك أيضًا تشويههم للتاريخ الإسلامي وتشويههم للفتح الإسلامي بأنه غزو همجي، وأن الإسلام انتشر بحد السيف وبالعنف والإكراه وأن الإسلام دين دموي يحث على سفك الدماء وعن طريق قطع يد السارق وقتل القاتل وغير ذلك[٣].

وهذه المحاولات للتشكيك في الإسلام والقرآن وتعاليم الإسلام قديمًا وحديثًا تؤكد لنا ما يلي:

١- أن الإسلام هو الدين الحق والشريعة الصادقة على سائر أديان الأرض وشرائعها ولذلك فقد كان محل عداء من طوائف الأرض المختلفة قديمًا وحديثًا.

٢- أن المنهج الإسلامي وجد قديمًا من يرد ما أثير حوله، ووجد أناسًا صادقين أحسنوا إفهامه للناس ولكنه الآن يفتقد من يذب عنه فالتيار المعادي له المشوه لتعاليمه

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (٢/ ١٣٥) باختصار وتصرف.
(٢) نفس المرجع (٢/ ١٣٥).
(٣) انظر: الحرب النفسية وأثرها في الأديان السماوية (ص٥٤٠، ٥٤١).

تيار قوي يحتاج إلى مسلمين أقوى منه يعون دينهم ومسئوليتهم ولديهم الحماسة للقيام بواجبهم تجاه دينهم.

٣- أن ما أثاره أعداء الإسلام ضد الإسلام ويثيرونه دائمًا يؤكد عظم هذا الدين، فهو الصامد أمام كل هذه الشكوك ويذهل أعداءه لكثرة أتباعه يومًا بعد يوم رغم كل ما يحاولونه من التشكيك فيه.

obeikandl.com

خامسًا: تدمير أخلاق المسلمين وعقولهم وصلاتهم بالله وإطلاق شهواتهم:

وهذا الهدف يعتبر من أهم الأهداف للحرب النفسية لدى الأعداء إذ أن الهدف الرئيسي منها السيطرة على عقل الغير وتفكيره، فإذا تم ذلك كان جسدًا بلا روح وبهذا تؤتي الحرب النفسية ثمارها.

ولذلك نجد اللواء جمال الدين محفوظ يقول: والحرب النفسية أخطر أنواع الحروب لأنها تستهدف من المقاتل عقله وتفكيره وقلبه لكي تحطم روحه المعنوية وتقضي على إرادته القتالية وتقوده بالتالي نحو الهزيمة.

يقول القائد الألماني رومل: إن القائد الناجح هو الذي يسيطر على عقول أعدائه قبل أبدانهم(١).

ولقد حاول أعداء الإسلام منذ اللحظة الأولى التخطيط والتنفيذ لهذا الهدف في المجتمع المسلم وهو ما حكاه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٢٧].

﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ ﴾ والمعنى يريد توبتكم أي يقبلها فيتجاوز عن ذنوبكم ويريد التخفيف عنكم في جميع أحكام الشرع.

﴿ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ ﴾ أي عن الحق، ﴿ مَيۡلًا عَظِيمًا ﴾ بإتيانكم ما حرم عليكم.

واختلفوا في الموصوفين باتباع الشهوات:

قال السدي: هم اليهود والنصارى، وقال بعضهم هم المجوس لأنهم يحلون نكاح الأخوات وبنات الأخ والأخت.

وقال مجاهد: هم الزناة يريدون أن تميلوا عن الحق فتزنون كما يزنون وقيل هم جميع

---

(١) المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية، لواء جمال الدين محفوظ (ص١٤٦) باختصار وتصرف.

أهل الباطل[١].

فهم يريدون منكم أن تميلوا عن صراط الفطرة فتؤثروا داعية الشهوة الحيوانية على كل داعية فلا تبالوا أن تقطعوا لإرضائها وشائج الأرحام، وتزيلوا أواصر القرابة، وتكونوا مثلهم إمامكم المتبع هو الشهوة، وغرضكم من الحياة التمتع باللذات[٢].

فالآية تدل دلالة واضحة على هدف أعداء الإسلام من تدمير أخلاق المسلمين وإطلاق شهواتهم لأنهم هم المتبعون للشهوات يريدون من المسلمين أن يكونوا مثلهم في اتباع الشهوات.

ولقد عرف أعداء الإسلام أنهم لن يستطيعوا أن يسيطروا على العالم الإسلامي إلا بإبعاد المسلمين عن الإسلام ولن يبعدوهم عن الإسلام إلا بتدمير أخلاقهم أولاً، وأقوالهم قديمًا وحديثًا تدل على ذلك وها هو المبشر «نرويمر» رئيس جمعيات التبشير في الشرق الأوسط يقول في مؤتمر القدس للمبشرين المنعقد عام ١٩٣٥م: «إن مهمة التبشير التي ندبتكم الدول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست في إدخال المسلمين في المسيحية فإن هذا هداية لهم وتكريمًا، إن مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقًا لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة له بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، وبالتالي يجيء النشئ الإسلامي مطابقًا لما أراده الاستعمار لا يهتم بعظائم الأمور ويحب الراحة والكسل ويسعى للحصول على الشهوات بأي أسلوب حتى أصبحت الشهوات هدفه في الحياة»[٣].

واليهود لهم الباع الطويل في إفساد أخلاق الأمم عن طريق الانحلال وبث الزنا والفجور قد بسطوا أيديهم على أهم وسيلة من وسائل هدم أخلاق الآخرين ألا وهي

---

(١) معالم التنزيل للبغوي (١/ ٤١٧) باختصار وتصرف، وانظر، زاد المسير لابن الجوزي (٢/ ٦٠).
(٢) تفسير المنار محمد رشيد رضا، (٥/ ٣١) باختصار وتصرف.
(٣) جلال العالم دمروا الإسلام أبيدوا أهله (ص٥٢).

الورق والصحف والتلفاز التي ينشرون من خلالها ما يريدون[١].

فالكلمات المسمومة التي يقولها زويمر المبشر وغيره والمواقف التي يفعلها أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم لتدل دلالة واضحة على استهداف أعداء الإسلام لتدمير أخلاق المسلمين وقطع صلتهم بالله وإغراقهم في الشهوات وبذلك تتم هزيمتهم نفسيًا بغير حرب عسكرية.

وهكذا كان وما زال أعداء الإسلام يحيكون المكائد ويحكمون المؤامرات ضد المجتمع الإسلامي ليحققوا أهدافهم من هذه المؤامرات والمكائد وأن ينفذوها من خلال الحرب النفسية أو الحرب الباردة أو السياسية كما يسمونها حديثًا.

فهم حريصون على تفتيت وحدة الأمة وتشكيك شبابها وخاصة الذين ليس لديهم الدراية الكافية بدينهم في رسولهم ﷺ وفي دستورهم وهو القرآن الكريم فهم دائمًا حريصين على تحطيم معنويات المسلمين وإحداث الهزيمة النفسية بداخلهم وإشعارهم بأنهم جنس أقل من جنس البشر على عكس ما يريده الإسلام منهم فالإسلام أرادهم سادة البشر وحملة لواء هدايتهم.

كما حرص أعداء الإسلام على تدمير أخلاق المسلمين لأنهم يعون جيدًا أن مسلمين بلا أخلاق لا قيمة لهم ولا وزن.

ولقد فشل الأعداء قديمًا في تحقيق هذه الأهداف لكن النتيجة الآن على عكس ذلك فما أحوجنا إلى جيل يعي دينه ويعي ما يحاك ضده وينهض للغاية التي أرادها الله عز وجل منه وتنفيذ مهمته التي خلقه الله عز وجل من أجلها: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

---

(١) طباع اليهود من خلال مصادرهم، د/ فرج محمد الوصيف (ص١٥٣).